أيقونة الكنيسة السمائيَّة

في أعلى الصورة يظهر المسيح الرأس، ثم القدِّيسة العذراء والدة الإله، وحولهما رؤساء الملائكة والرُّسُل والشهداء والآباء البطاركة والأساقفة والقسوس، وسائر القدِّيسين من الرهبان والراهبات، وسائر الشعب.

«لأَنْ لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ، قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ، بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ» (أع ٤: ١٢)

[فريسكو يرجع إلى عام ١٥٩٥ – ١٥٩٦م في دير سوكيفا – رومانيا]

مرقس

رسالة الفكر المسيحي للشباب والخُدَّام

السنة ٦٩ **نوفمبر ٢٠٢٥م.**

العدد ٦٦٨ **بابة / هاتور ١٧٤٢ش.**

المحتويات

الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:

«امْتَحِنُوا كُلَّ شَيْءٍ» (ب) ١

أخبار الكنيسة:

الاحتفال بالذِّكرى المئويَّة الـ ١٧ لمجمع نيقية ٦

مقال للأب متى المسكين: المُصالحة ٩

من أقوال الآباء: تجسُّد الله الكلمة ١٣

تعاليم آبائيَّة:

محبَّتنا لله وللقريب ١٧

مقال مترجم: الاتِّحاد بالمسيح ٢١

ادخل إلى العمق (٥٦):

«آدمُ ... أين أنتَ؟» ٢٦

دراسات كتابيَّة:

"السَّالِكونَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ ..." (٢) ٣١

من التراث الكنسي: معرفة الله (٢٣) ٣٦

بحث تاريخي:

أهم أديرة وكنائس القدِّيس مار جرجس القبطيَّة (١) ٤١

تقديم كتاب: مدخل إلى النقد النَّصِّي للعهد الجديد ٤٦

مقال بالإنجليزية:

LIVING WITH CHRIST, Vol. 4, 65 - 67 ..... ٥٢

من تعليم آباء الكنيسة

للقدِّيس مقاريوس الكبير

غاية مجيء الرَّبِّ وظهوره

(ترجمة النص اليوناني الآبائي المنشور في باطن الغلاف الأخير)

❀☩❀

[هذا هو فداءُ الرَّبِّ،
ومجيئُهُ، وظهورُهُ لجنسِ البشرِ:
أن يُعيدَ منذ الآن
جوهرَ النَّفسِ العاقلَ والنَّاطقَ والكريمَ
إلى نُبْلِ طهارتِه الأصليَّةِ،
ويجعلَ النَّفسَ أيضًا
شريكةً لجوهرِ روحِهِ،
كعروسٍ نبيلةٍ مَلَكيَّةٍ لهُ.
فكيفَ – إذًا – نُقايِض جوهرَ النَّفسِ الكريمَ والعاقلَ،
الَّذي هو محبوبٌ ومُستحِقٌّ للتَّكريم
أكثر من كلِّ خليقةٍ مرئيَّةٍ وغيرِ مرئيَّةٍ،
بأمورٍ عليلةٍ حقيرةٍ باليةٍ ومادِّيَّةٍ! ...
بينما كان ينبغي
أنْ نطرحَ عن أنفسِنا كلَّ شيءٍ،
وننفضَ عنَّا الأمورَ الأرضيَّةَ الزَّائلةَ،
والأفكارَ المادِّيَّةَ التُّرابيَّةَ الفاسدةَ،
ونرتبطَ بالمسيحِ وحدَهُ بالحبِّ،
مجروحين بعشقٍ سماويٍّ (نش ٢: ٥)
نحوهُ وحدَهُ،
ومولعين بِهَوى روحيٍّ نحوهُ وحدَهُ؟].

(المجموعة الثالثة، عظة ٢٥: ٣: ٣؛ ٤: ١)

مرقس: يصدرها دير القديس أنبا مقار – برية شيهيت

مكتب التوزيع والاشتراكات
القاهرة: ٢٨ شارع شبرا
تليفون: ٢٥٧٧٠٦١٤
٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤
٠١٠٢٣٨٢١٣٨١
الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك
تليفون: ٠٣٤٩٥٢٧٤٠
تصفَّح مجلة مرقس في موقع الدير على الإنترنت:
www.stmacariusmonastery.org
عنوان البريد الإلكتروني:
stmarkcare@gmail.com

رئيس التحرير: الأب سرجيوس المقاري
تسديد الاشتراكات:
عن طريق خدمة أورانج كاش
وفودافون كاش
الخاصة بأرقام تليفون المجلة
وهي:
٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤
٠١٠٢٣٨٢١٣٨١
وتبدأ سنة الاشتراك
في يناير من كل عام
مطبعة دير القديس أنبا مقار

ثمن النسخة ٢٠ جنيهًا
الاشتراك السنوي: حرٌّ ... حدُّه الأدنى:
٢٠٠ جنيه: داخل مصر (تسليم باليد)
٣٥٠ جنيهًا: في حالة الدفع عن طريق المُحصِّل
٣٠٠ جنيه: في حالة الدفع عن طريق:
خدمة أورانج كاش وفودافون كاش
١٥٠ دولارًا أمريكيًّا: في البلاد الأخرى
عنوان المراسلات:
ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٧ / ٢٠٢٥
الترقيم الدولي: ISSN 2805-2382

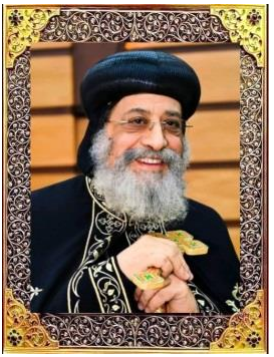

«امْتَحِنُوا كُلَّ شَيْءٍ»

(١تس ٥: ٢١)

لصاحب القداسة

البابا تواضروس الثاني

الافتتاحية

وصايا قصيرة جدًّا

(ب)

هناك خمسة مجالات نستطيع أن نمتحنها في حياتنا، وقد تكلَّمنا في العدد السابق (أكتوبر ٢٠٢٥م – ص ٢) عن: أولًا: امتحان الإيمان، ونستكمل في هذا العدد باقي المجالات.

ثانيًا: امتحان الأقوال:

إنَّ أكثر نشاط يقوم به الإنسان كلَّ يوم هو الكلام، سواء عن طريق الكلام المُباشر، أو عن طريق التليفون، أو عن طريق الكتابة، أو عن طريق القراءة ... وغيره من طُرُق التواصُل.

اسأل نفسك: هل أستطيع أن أفرز ما أسمعه من كلمات، إن كانت جيِّدةً أم رديئةً؟ «أَفَلَيْسَتِ الأُذُنُ تَمْتَحِنُ الأَقْوَالَ، كَمَا أَنَّ الْحَنَكَ يَسْتَطْعِمُ طَعَامَهُ؟» (أي ١٢: ١١). وهل أُذُنك تستطيع أن تُميِّز ما تسمع؟ وتقوم بعملية تنقية لِمَا تسمعه؟ فمثلًا الإنسان عند ركوبه الطائرة قد يستخدم سدادة للأذُن، لكي لا يستمع إلى صوت الضوضاء، ولكن هناك أيضًا كلمات أصعب من هذه الضوضاء، فهل لك القدرة على حفظ أُذُنك من بعض هذه الكلمات؟

وهنا نسأل: ما هي الكلمات التي يجب أن نحذر منها؟

احذر من اللِّسان الواشي أي الإنسان الذي يشي، فللأسف يوجد بعض الناس يستمتعون بعمل الوشايات ضد الآخرين.

مثال: مردخاي وهامان الشرير:

وَشَى هامان للملك أحشويروش بكلام شرير عن شعب اليهود، أنهم لا يطيعونه ولا يخضعون له، لدرجة أنَّ هذا الشرير أَخَذَ تفويضًا من الملك لإبادة كلِّ شعب اليهود.

+ «وَأُرْسِلَتِ الْكِتَابَاتُ بِيَدِ السُّعَاةِ إِلَى كُلِّ بُلْدَانِ الْمَلِكِ لإِهْلاَكِ وَقَتْلِ وَإِبَادَةِ جَمِيعِ الْيَهُودِ،

مِنَ الْغُلَامِ إِلَى الشَّيْخِ وَالأَطْفَالِ وَالنِّسَاءِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ» (أس ٣: ١٣).

أمَّا مردخاي فقد أراد هامان أن ينتقم منه انتقامًا خاصًّا نظرًا لعدم سجوده له، فصنع له صليبًا كبيرًا لكي ما يقوم بصلبه عليه: «فَلْيَعْمَلُوا خَشَبَةً ارْتِفَاعُهَا خَمْسُونَ ذِرَاعًا، وَفِي الصَّبَاحِ قُلْ لِلْمَلِكِ أَنْ يَصْلِبُوا مُرْدَخَايَ عَلَيْهَا» (أس ٥: ١٤). ولكن الله الذي يُدبِّر حياتنا ويضبط هذا الكون، غَيَّر كلَّ هذه الأحداث وأنقذ شعب اليهود.

■ انتبه من الشخص الذي يتملَّقك، فالتملُّق هو إحدى الآفات الضارة جدًّا، وخصوصًا في الخدمة.

والتملُّق هو الجرعات الزائدة من المديح. فالمديح المُعتدل شيءٌ مقبولٌ ومُشجِّع، أمَّا إن زاد فيضر، تمامًا كجرعة الدواء الزائدة تُسبِّب أضرارًا تصل إلى التسمُّم.

لهذا احذر من الذي يتملَّقك حذرك من لدغة حيَّة سامَّة. فهناك إنسانٌ يستمتع بكلام المديح، وهذا قمة الخطايا؛ لأن هذا يُغذِّي ذاته وداخله، ويُبعِد مجد المسيح من القلب.

يقول معلِّمنا بولس في هذا: «لِئَلَّا يَخْدَعَكُمْ أَحَدٌ بِكَلَامٍ مَلِقٍ» (كو ٢: ٤)، فانتبه وامتحن نفسك.

ويقول أحد الفلاسفة: "إنَّ الله خلق للإنسان أُذُنين، على امتدادٍ واحد، لكي نسمع من واحدة، ونُخرج الكلام غير المُناسب، أو غير اللائق من الأُذُن الأخرى، وقد وَضَع الله عقل الإنسان في الوسط بينهما لكي ما يقوم بعملية التقييم".

■ احترس من الخبثاء والمُخادعين، ومثل هؤلاء الأشخاص مُتواجدون في كلِّ مكان وزمان، وفي جميع أنواع المجتمعات، من مجتمعات عامة أو مجتمعات كنسيَّة ... إلخ.

لذلك صَلِّ قبل عقد أيِّ مُقابلة هامة، وفي أثناء اللِّقاء يُمكنك أن تُصلِّي في قلبك لكي ما تستمدَّ قوَّةً من الله تستطيع بها أن تُفرِز هذا الكلام: إن كان صادقًا أم مُخادعًا. ويقول المزمور: «لأَنَّهُمْ لَا يَتَكَلَّمُونَ بِالسَّلَامِ، وَعَلَى الْهَادِئِينَ فِي الأَرْضِ يَتَفَكَّرُونَ بِكَلَامِ مَكْرٍ» (مز ٣٥: ٢٠).

ومُعلِّمنا بولس الرسول يقول: «وَبِالْكَلَامِ الطَّيِّبِ وَالأَقْوَالِ الْحَسَنَةِ يَخْدَعُونَ قُلُوبَ السُّلَمَاءِ» (رو ١٦: ١٨). وكما نقول في أمثالنا المصرية: "فلان يلعب بالبيضة والحجر". فالبيضة يتمُّ

كسرها من أقل اصطدام، ومع هذا يستطيع هذا الإنسان أن يلعب بها ويخدع قلوب الآخرين.

■ احترس من الإنسان المُجادِل، فهناك شخصٌ يتناقش ويُجادِل كثيرًا في موضوع ما، لا ليصل إلى الحقيقة أو أن يكون له استعداد للاقتناع؛ ولكن رغبة في النقاش والجدل ولفرض رأيه على الآخرين والتشكيك فيهم.

وبذلك لا يكون فيه روح الله، كما يقول مُعلّمنا يعقوب: «لَيْسَتْ هذِهِ الْحِكْمَةُ نَازِلَةً مِنْ فَوْقُ، بَلْ هِيَ أَرْضِيَّةٌ نَفْسَانِيَّةٌ شَيْطَانِيَّةٌ» (يع ٣: ١٥).

ثالثًا: امتحان العمل:

يقول مُعلّمنا بولس الرسول: «لِيَمْتَحِنْ كُلُّ وَاحِدٍ عَمَلَهُ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ لَهُ الْفَخْرُ مِنْ جِهَةِ نَفْسِهِ فَقَطْ، لَا مِنْ جِهَةِ غَيْرِهِ» (غل ٦: ٤).

■ امتحن عملك: مع مَنْ تعمل؟ ما الهدف من عملك؟ ما نوع العمل الذي تعمله؟ وهل عملك يُساهم في بناء المُجتمع؟ هل تُساهم في بناء الكنيسة وخدمتها؟

يجب مُلاحظة أنَّ كلَّ مبنى ضخم يبدأ بطوبة، وإن لم يفتخر الإنسان بعمله، فهذا يعني أنه لا يرى أيَّة فائدة لعمله.

قصة:

ثلاثة أشخاص كانوا يقطعون حجارة في الجبل، فمرَّ عليهم رَجُل سأل الأول ماذا تفعل؟

أجابه قاطع الأحجار الأول بكلِّ غضب: أَلَا ترى إني أقطع الأحجار!!

ثم سأل قاطع الأحجار الثاني: ماذا تفعل؟

فقال له: إني أقطع الأحجار، لكي ما أكسب لقمة عيشي.

ثم سأل قاطع الأحجار الثالث: ماذا تفعل؟

فأجاب بكلِّ فرح، إني أقطع الأحجار، لكي ما أشترك في بناء بيت لله.

ونرى هنا أنَّ هؤلاء الثلاثة رجال كانوا يقومون بنفس العمل، ولكن نظرة كل واحد منهم للعمل كانت مُختلفة تمامًا. فهناك مَنْ يعمل وهو يشعر أنه مُضطرٌ لأداء هذا العمل، ولكن هناك آخر يعمل وهو يشعر بالفرحة، وأنه يعمل عملًا جيِّدًا وهامًّا مهما كان هذا العمل صغيرًا جدًّا.

فمثلًا عندما نرى شخصًا يقوم بنقل بعض الأشياء على عربة بسيطة في الشارع، فهو يعمل عملًا جيِّدًا ويُساعد به في المُجتمع، فلا يمكن أن نحتقر أيَّ إنسان مهما كان عمله بسيطًا.

ولا يمكن لأحد أن يقول: أنا بنيتُ الكنيسة الفلانية أو المُنشأ الفلاني، لأنه لكي يتمَّ هذا العمل لا بدَّ أن يتعب كثير من الإداريين والعمال والمهندسين ... إلخ، لكي ما يكتمل هذا البناء الذي قد يستخدمه آلاف الأشخاص.

وفي إحدى المرات، جلستُ أتأمل في العمال الذين يقومون بالعمل في بناء إحدى الجامعات المشهورة في العالم، فوجدتُ أن أغلب العاملين في البناء من ذوي التعليم المحدود، رغم أنهم يقومون ببناء جامعة كبيرة تمنح أكبر الشهادات العلمية، ويتخرَّج منها أُناسٌ يعملون في أرقى الوظائف.

فإن نظرنا إلى هذه الصورة، نجد أنَّ هؤلاء العمال البسطاء كان لهم بعض الفضل على هؤلاء العلماء والأساتذة الكبار الذين تخرَّجوا من هذه الجامعة، لأن هؤلاء العمال هم مَنْ تعبوا في إنشاء هذه الجامعة.

لذلك هناك نظرية تقول: "جيل يبني وجيل يجني". فمثلًا من حوالي أكثر من مائة عام، قام آلاف من العمال بحفر قناة السويس، ولكن نحن الآن الذين نجني ثمرة هذا العمل، حيث إنَّ قناة السويس هي إحدى مصادر الدخل القومي المصري.

وبذلك يمكننا ملاحظة أن:

- هناك أعمالٌ روحيَّة، وهناك أعمالٌ جسدانيَّة.
- هناك إنسانٌ يعمل بحسب مشيئة الله، وإنسانٌ لا يعمل بحسب مشيئة الله.
- هناك إنسانٌ يعمل لمجد نفسه وإرضاء كبريائه والسيطرة على الآخرين.
- أيضًا فإنَّ البداية في العمل ليست كلَّ شيء، إنما الاستمرارية.

هذا يجعلنا نُدرك أنَّ كلَّ عمل له قيمته وفائدته، ومُعلِّمنا بولس الرسول يُحدِّثنا بكلِّ الحزن عن تلميذه ديماس الذي بدأ العمل معه بحماس وحبٍّ وتضحية؛ لكن يقول عنه بعد ذلك: «لأَنَّ دِيمَاسَ قَدْ تَرَكَنِي إِذْ أَحَبَّ الْعَالَمَ الْحَاضِرَ» (٢تي ٤: ١٠).

- اسأل نفسك: هل تحترم العمل الذي تقوم به وتُقدِّره؟ هل تقوم بعملك بكلِّ أمانة؟

هل تؤدِّي خدمتك كما يجب حتى إن كانت هذه الخدمة في قرية بسيطة أو بعيدة؟

فالإنسان في عمله يحتاج إلى الأمانة، وطول الأناة، والصبر، والتضحية، وكأنه في عمله أو خدمته يُتاجر بوزناته بدون أنين أو تذمُّر.

فإذا كنتَ طبيبًا أو مدرِّسًا أو محاميًا أو خادمًا في الكنيسة، فاعمل كلَّ ما تعمله بالصِّدق، واحذر الغش واللهوجة.

وهناك مَثَلٌ لطيف يقول: "مسمار يُنقِذ حدوة، وحدوة تُنقذ حصانًا، وحصان يُنقذ فارسًا، وفارس يُنقذ أُمَّة". فالعامِل الذي يُثبِّت المسمار في حدوة الحصان، يجب أن يؤدِّي عمله بكلِّ أمانة حتى لا يقع الفارس من فوق ظهر الحصان، وحتى تنتصر الأُمَّة، وهذا يُبيِّن لنا مدى أهمية عمل هذا العامل البسيط في إنقاذ شعب.

• العمل مهما كان صغيرًا يكون له قيمته، والأمين في عملهِ لا يقبل الحرام على نفسهِ ولا على بيتهِ، فيجب أن يكون سلوكك ونقاوتك واضحين. فامتحن نفسك في عملك واسأل نفسك: هل عملك يُرضي الله أم لا؟ وهل الله يفرح بعملك هذا؟ **(يتبع)**

البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

****

دير القدِّيس أنبا مقار

بتصريح سابق من الأب متى المسكين بالإعلان عن مشروع معونة الأيتام والفقراء (مشروع الملاك ميخائيل)، حيث يعول هذا المشروع منذ عام ٢٠٠٠ أكثر من ألفين من العائلات المُعدمة، يمكن تقديم التقدمات في رقم الحساب الآتي:

00211300000153

دير القدِّيس أنبا مقار

بنك كريدي أجريكول مصر – فرع الميرغني

****

الاحتفال بالذِّكرى المئويَّة السابعة عشرة لمجمع نيقية في مدينة الإسكندرية

✣✟✣

غبطة البطريرك ثيئودوروس الثاني يستقبل قداسة البابا توضروس الثاني:

في يوم الخميس ٩ أكتوبر ٢٠٢٥م، اشترك قداسة البابا تواضروس الثاني بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية مع غبطة البطريرك ثيئودوروس الثاني بطريرك الإسكندرية للروم الأرثوذكس، وذلك في الاحتفال بمرور سبعة عشر قرنًا على التئام مجمع نيقية، المُنعقد سنة ٣٢٥م، والذي كان له الفضل في إنقاذ العالم المسيحي من الهرطقة الأريوسيَّة، وفي وَضْع قانون الإيمان الذي تتلوه حتى الآن جميع الكنائس المسيحيَّة.

غبطة البطريرك ثيئودوروس الثاني في استقبال قداسة البابا تواضروس الثاني

وفي مشهدٍ كنسيٍّ فريد يُعبِّر عن عُمق العلاقات الأخويَّة بين الكنيستَيْن القبطية الأرثوذكسية والروم الأرثوذكسية، اشترك قداسة البابا تواضروس الثاني في الاحتفالية الكبرى التي نظَّمتها بطريركية الإسكندرية وسائر إفريقيا للروم الأرثوذكس بمناسبة مرور سبعة عشر قرنًا على انعقاد مجمع نيقية المسكوني الأول (٣٢٥م)؛ وإعلان عام ٢٠٢٥م، عام القدِّيس أثناسيوس الكبير، اللَّاهوتي العظيم وبطريرك الإسكندرية العشرين.

أُقيمت الاحتفالية المهيبة في النادي اليوناني بالإسكندرية، داخل المُجمَّع اليوناني الذي يضمُّ مقرَّ القنصلية العامة لليونان والجالية اليونانية ومؤسَّساتها، وذلك بحضور ومشاركة كوكبة من الشخصيات الكنسيَّة والدبلوماسيَّة والعلميَّة والثقافيَّة من مصر واليونان وقبرص.

وقد استقبل غبطة البطريرك ثيئودوروس الثاني، ضيفه الكبير قداسة البابا تواضروس الثاني لدى وصوله مقر الحفل، مُرحِّبًا به بكلمات محبَّة وتقدير، تُعبِّر عن عمق الأُخوَّة التي تجمع الكنيستين في أرض مصر المُباركة.

اشترك في هذا اللقاء أيضًا: أصحاب النيافة الأنبا باقلي أسقف قطاع المنتزه، والأنبا هرمينا أسقف قطاع شرق الإسكندرية، والأسقف دمسكينوس الأزرعي أسقف مريوط للروم الأرثوذكس؛ فضلًا عن حضور القمص أبرآم إميل وكيل البطريركية القبطية بالإسكندرية، والقس صموئيل ميلاد، إلى جانب السفير اليوناني بالقاهرة السيِّد نيكولاوس جارداكيس، والقنصل العام لليونان بالإسكندرية السيِّد إيفانجيلوس كارافاس.

مضمون الاحتفال:

بدأ الاحتفال بعزف النشيدَيْن الوطنيَّيْن لمصر واليونان، ثم تلاه كلمة ترحيب رسميَّة بقداسة البابا تواضروس الثاني والحضور الكريم، ألقتها إدارة البطريركية اليونانيَّة، عبَّرت فيها عن الاعتزاز بمُشاركة رأس الكنيسة القبطيَّة في هذه المناسبة اللاهوتية الفريدة التي تربط بين تاريخ نيقية المجيد واسم أثناسيوس العظيم.

بعد ذلك، رتَّل شمامسة الكنيسة اليونانية مجموعة من الألحان والتراتيل البيزنطية العريقة، تبعهم كورال "قلب داود" التابع للكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسية، الذي قدَّم باقةً من الترانيم القبطيَّة المُفعمة بالروحانيَّة والمحبَّة الأخويَّة.

أعقب ذلك، عرض فيلم وثائقي تناول سيرة القدِّيس أثناسيوس الكبير، وتعليمه ودوره التاريخي في الدفاع عن الإيمان القويم في مجمع نيقية.

كلمات المحبَّة والتكريم المُتبادَلَين:

في كلمته، عبَّر قداسة البابا تواضروس الثاني عن سعادته العميقة بهذه الدعوة الأخويَّة الكريمة، مؤكِّدًا أنَّ القدِّيس أثناسيوس الرسولي يبقى رمزًا خالدًا لوحدة الإيمان، إذ دافع عن العقيدة الأرثوذكسيَّة بكلِّ شجاعة أمام هرطقة أريوس في مجمع نيقية، فاستحقَّ أن يُدعَى "حامي الإيمان".

وقدَّم قداسته التهنئة القلبية لغبطة البطريرك ثيئودوروس بمناسبة مرور عشرين عامًا على خدمته البطريركية المُثمرة، وقد أهداه مُجسَّمًا تذكاريًّا للكاتدرائية المرقسيَّة بالعباسية،

عربون محبَّة واعتزاز بالشركة الأخويَّة بين الكنيستَيْن.

ومن جانبه، عبَّر غبطة البطريرك ثيئودوروس الثاني في كلمته الختامية عن فرحته الكبيرة بحضور قداسة البابا تواضروس الثاني، مُشيدًا بمحبة قداسته، وبالدور الرعوي العظيم الذي يقوم به في خدمة الكنيسة القبطيَّة في مصر والعالم، ومُثمِّنًا العلاقات الأخويَّة العميقة بين الكرسيَّيْن الإسكندريَّيْن اللذين يشتركان في إيمانٍ واحد بالمسيح.

مشهدٌ من الوحدة والفرح الكنسيَّيْن:

لقد شكَّل هذا اللقاء التاريخي بين قداسة البابا تواضروس الثاني وغبطة البطريرك ثيئودوروس الثاني في الإسكندرية، حدثًا كنسيًّا بامتياز، أعاد إلى الأذهان عظمة التراث المُشترك بين الكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسية وكنيسة الروم الأرثوذكس. وأكَّد أنَّ روح نيقية لا تزال تنبض اليوم في شهادة الوحدة والمحبة التي تجمع أبناء مار مرقس الرسول في الإسكندرية منبع الإيمان ونور إفريقيا.

منظر عام يجمع بين قداسة البابا تواضروس الثاني وغبطة البطريرك ثيئودوروس الثاني في اللقاء التاريخي بينهما بمناسبة مرور ١٧ قرنًا على انعقاد مجمع نيقية المسكوني الأول

مقال للأب متى المسكين

المُصالحة[1]

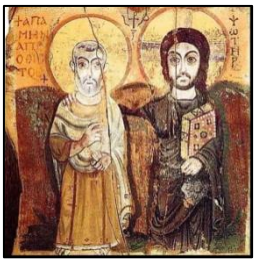

قُلتُ لكم، يا أحبَّائي، في اختصارٍ، **إنَّ كلَّ الغرائز الطبيعيَّة المخلوقة والمغروسة في صميم طبيعتنا، خُلِقَت أساسًا على غير فساد، وخُلِقَت لتمجيد الله بالنهاية؛** لكن اعتورها في الطريق انحراف، واتَّخذ منها العدوُّ المُضِلُّ إقامة مؤقَّتة، زيَّف طبيعتها وزيَّف مطاليبها، وزيَّف أهدافها.

ولكن، في النهاية، انكشف لنا كلُّ شيء، وعرفنا جهارًا ومن فم الوحي المقدَّس: «أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي فِيكُمُ، الَّذِي لَكُمْ مِنَ اللهِ؟» (١كو ٦: ١٩). وحينما قال بولس الرسول نفسه: «فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ سَاكِنٌ فِيَّ، أَيْ فِي جَسَدِي، شَيْءٌ صَالِحٌ» (رو ٧: ١٨)، قال هذا قبل أن يعرف المسيح وقبل أن يتعامل مع روح الله. ولكن بعد أن انفتحت عيناه ورأى الصراع الهائل الذي جازه المسيح عنَّا في الجسد، عاد فقال: «لأَنَّهُ مَا كَانَ النَّامُوسُ عَاجِزًا عَنْهُ، فِي مَا كَانَ ضَعِيفًا بِالْجَسَدِ، فَاللهُ إِذْ أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ، وَلأَجْلِ الْخَطِيَّةِ، دَانَ الْخَطِيَّةَ فِي الْجَسَدِ (بالصليب)، لِكَيْ يَتِمَّ حُكْمُ النَّامُوسِ فِينَا (اجتياز حُكْم الموت)، نَحْنُ السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ» (رو ٨: ٣ و٤).

هذا هو أعظم صراع أُكمِل على الأرض لحساب الإنسان، صراع الروح مع الجسد، صراع القداسة مع النجاسة، صراع البرِّ مع الفجور والإثم، صراع الحبِّ واللُّطف والبذل ضد الجسد والحقد والبُغضة. وبالاختصار، صراع عوامل الحياة الأبديَّة في غرائز الإنسان وطبيعته، ضد صراع عوامل الفساد والهلاك والموت المُزيَّف.

مجِّدوا الله، يا أولاد الله، فلم يَعُدْ مجالٌ واحد متروك دون شهادة وختم أنَّ الله قد غَلَبَ لنا العالم في جسم ابنه يسوع المسيح، لنعيش بجسد يسوع أحياءً وقدِّيسين وأبرارًا وبلا لوم في المحبَّة.

---

(١) عن كتاب: "رسائل روحية"، الرسالة رقم (١٨)، الطبعة الثامنة: ٢٠١٥، من ص ١١٣ – ١١٧.

النور الإلهي واليد العُليا، يمتدَّان للتطهير والتبرير:

انتبهوا! فالنور الذي كان في الماضي يكشف عوارنا ويفضح خفايا قلوبنا، ويضعنا أمام حُكْم الدينونة والموت؛ صار هو هو بعينه الذي يتسلَّط على أقبح ما فينا فيشفيه، ويُحوِّله نورًا، وأقذر وأفجر ما في ضمائرنا يغسلها لتصير بيضاءَ كالثلج، واليد التي كانت مرفوعة بحُكْم الموت على كلِّ أعمال الإنسان الميتة هي هي بنفسها حملت لنا شهادة بل بشارة براءة، لأنه على وجهها هذا كُتِبَت أسماؤنا وعلى الوجه الآخر أَثَر المسامير!!

والإنسان الذي كان يُخبِّئ في زوايا ضميره أفعال القُبح وأعمال العصيان والتعدِّي بكلِّ صنوفها، صغيرها وكبيرها، وكان يُمعِن في إخفائها في طبقات الضمير السُّفْلَى حتى لا تعود تتراءى، لا في صلاة ولا في اعتراف أو حديث ولا حتى في الذاكرة؛ إذ باليد العُليا، القادرة المُقتدرة الحانية بكلِّ جراءة الحبِّ، تمتدُّ لتُخرِج كلَّ هذا إلى الخارج إلى النور ليتوبَّخ قليلًا من الضمير، ثم يغتسل في بحر نعمة الله المجَّانيَّة.

ما أعجبك يا الله حينما تصير لنا أب اعتراف! حقًّا لن يُدانيك أبٌ في الوجود؛ لأن الذي يدين صار هو الذي يُبرِّئ. فكلُّ الخبرات المؤلمة الشائكة التي يتحاشاها الفكر والشعور، إذ كان يظنُّ أن ليس فائدة وقد فات الأوان وكأنه لا حلَّ ولا حتى عزاءَ؛ هذه الخبرات الدفينة المؤلمة تدفعُها اليد القادرة المُقتدرة عاليًا، لتصير عنوان اعترافٍ مكتوب تراه العين وتتملَّأ منه. وفجأة تغيب كلُّ هذه الخبرات المؤلمة تحت وطأة قطرات الدم الساقطة من جسد ابن الله النازف الذي تجسَّد ليرفع عن هذه الأجساد هذه الهموم كلها التي كالجبال.

الربُّ يسوع المسيح هو الذي صارَعَ عنَّا، وصالَحَ وغَلَبَ:

لقد قَبِلَ الربُّ يسوع الصراع، أعظم صراع، في جسده؛ وتغلَّب على كلِّ أنواع الخطايا بكلِّ صنوفها عنَّا، وأدانها جميعًا وقهرها وتقبَّل الموت عنها؛ فاختفت في بحر نسيان الله ولن توجَد بعد!!

هذا هو يسوع المسيح المُصارِع الأعظم الذي إذا قبلناه داخل القلب، أبطل كلَّ صراع؛ فتصالَحت في قلوبنا جميع المُتناقضات، كما يقول القدَّاس: "وحَّدَ وألَّفَ السمائيين مع الأرضيين والشعب مع الشعوب والنَّفْس مع الجسد" (القسمة السريانيَّة)، وكما قال الربُّ للمرأة الخاطئة: «أَمَا دَانَكِ أَحَدٌ؟ ... وَلَا أَنَا أَدِينُكِ. اذْهَبِي وَلَا تُخْطِئِي أَيْضًا!» (يو ٨: ١٠ و١١).

حثٌّ على الاعتراف بخبايا النفس:

يا أحبَّائي، أنا أتوسَّل إليكم أن لا يبقى بعد ذلك شيءٌ مكتومٌ داخل القلب. اكشفوا كلَّ شيء أمام الذي أمامه كل شيء مكشوف وعُريان! أَخرِجوا المُخبَّآت لترى نور المسيح، نور الصَّفْح والغفران مجَّانًا! كلُّ ما تَرَوْنَه غير جدير بأن يظهر للنور من شدَّة قُبحهِ، اعلموا أنَّه مدفوع ثمنه بزيادة حتى هذه الساعة، لكي تطرحوه أرضًا وتدوسوه بأقدامكم، وتستلموا صَكَّ براءة مكتوبًا بإصبع يسوع مغموسًا في دم الصليب.

واعلموا أنَّ القلب لا يحتمل الحبَّ والندم معًا، وإنْ تُرِكَ هكذا يتحطَّم. أَدْخِلوا المُصالِح بينهما، صاحب الصليب، ليُصالِح بدمه الحبَّ والندم، ولتخرج ترنيمةٌ جديدة للمُصالحة العُظمى، لا يعرفها إلَّا الذين غلبوا بدم الخروف وكلمة شهادتهم. اشهدوا لمقدرة المسيح، وعيشوا ولا تموتوا!

يا أحبَّائي، لقد صوَّرتُ لكم – فيما سبق – أنواعًا من الكبت وأنواعًا من الصراع، وقد صحَّحتُ على قدر استطاعتي من هذا وذاك. والآن هنا أدعوكم إلى الخروج إلى النور: «اللهَ نُورٌ» (١يو ١: ٥). فلا تُبقوا ركنًا واحدًا في قلبكم مُظلمًا.

لا تحتبسوا إثمًا أو خطيئة أو تعدِّيًا لئلَّا تحجزوا وجه الشمس بجهالة.

اخرجوا إلى الذي يُنير العالَم: «أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ» (يو ٨: ١٢)، لأنه من غير المعقول أن يخفق في أن يُنير خفايا قلوبكم.

اخرجوا إلى الحريَّة، كلُّ مَنْ عاش بضمير خطايا لا يستطيع أن يقول إنه رأى النور أو إنه ذاق الحريَّة، حريَّة البنين، لا بدَّ أولًا أن يُسمِّر ضمير الخطايا على صليب المسيح أولًا، وحينئذ تُغسَل الخطايا في رشاش الدم المُتساقط. هذا هو حقُّ الإنجيل: «لِنَتَقَدَّمْ بِقَلْبٍ صَادِقٍ فِي يَقِينِ الإِيمَانِ، مَرْشُوشَةً قُلُوبُنَا مِنْ ضَمِيرٍ شِرِّيرٍ، وَمُغْتَسِلَةً أَجْسَادُنَا بِمَاءٍ نَقِيٍّ» (عب ١٠: ٢٢).

نحن خُطاة كلنا، وليس واحدٌ فينا بلا خطية، ولكن ونحن تجاه المسيح رافعين أيدينا بشِبْه الصليب، **ليس لنا ضمير خطية،** ولكن نحن **فينا خطية.** لا يمكن أن نُنكِر ذلك وإلَّا نكذب ولا يكون الحقُّ فينا، ولكن **ليس علينا خطية.** فالذين معنا كثيرون: مسامير، ويدان مثقوبتان، وذراعان ممدودتان، وجسد مضروب بالسِّياط، وحربة نافذة حتى الصدر، ودم مسفوك بلا كيل؛ كلُّ هذا معنا.

أمَّا الذي علينا، فهي مشورات جهالة، وأعمال وَضَعَ فيها الشيطان إصبعه هذا الذي سيُبيده الله بنفخة فمه. سنبقى نحن، حتمًا سنبقى، لأن المسيح معنا وروح الله فينا، والزائل سيزول مهما تحصَّن في أسوار ترابية!!

المسيح يُشركنا في حياته وآلامه ويُكمِّل خلاصنا:

إنَّ أمورًا كثيرة مُفرِحة جدًّا تنتظرنا الآن، إذا نحن تشجَّعنا وأمسكنا بالحياة الأبديَّة بثبات، ودُسنا تحت أرجلنا كلَّ مقترحات العدوِّ ومشوراته. ولكن الأمر الذي لا يمكن أن نَغْفَلَ عنه، هو أنَّ المسيح يرسم صورته فينا منذ الآن، لأنه يريد أن يشبه إخوته في كلِّ شيء.

فجروحنا هو يوصِّلها، بطريقٍ سرِّي، بجروحه؛

والإهانات التي تنصبُّ على رأسنا بشِبْه الضرب، هو يضمُّها بنوعٍ من الاستثناء إلى الضربات التي نزلت على رأسه؛

وكلُّ أعمال الاغتياب التي تعمل وراء ظهرنا من العدوِّ أو من الناس، هذه يُدخِلها ضمن ضربات السِّياط.

وكذلك كلُّ ما يحدث سرًّا وعلنًا؛ وباختصارٍ شديد، لقد ضمَّ المسيح كلَّ ذلك إلى قائمة أوجاعه وآلامه.

لذلك، سنتشرَّف بأن نقف مع صفوف الشهداء، بنوعٍ استثنائي، نحن الذين انتهت بنا أواخر الدهور. لأن الله بحث كثيرًا في ملفات سهرنا وتنسُّكاتنا وهذيذنا الليلي والنهاري وتأمُّلاتنا في الكلمة المكتوبة أو المسموعة، فلم يجد ما يكفي قط لملء سِجِلِّ كأس الخلاص؛ فارتأى الربُّ – بنوعٍ من المُجاملة الزائدة – أن يُكمِل خلاصنا بالآلام، آلامه وآلامنا. وما نقص من كأس الخلاص، يُضيف إليه أتعابًا وقتية وأوجاعًا زمانية، حتى وأمراضًا جسديَّة، إنْ قُبِلَتْ بالشُّكر، ليتزكَّى إيماننا.

لساني يريد أن يُهلِّل ويُرتِّل، ولكن في وقار الأُبوَّة ومحدودية الرسالة، وفي إطار المحبة المكتومة. أختم خطابي هذا طالبًا لكم ملء المُصالحة العظمى، لتنطلق قلوبكم تُرتِّل للذي تنحني أمامه ملايين الشهداء بالتسبيح. اقبلوا محبَّتي في المسيح.

كونوا مُعافين باسم الثالوث الأقدس.

أقوال الآباء

تجسُّد الله الكلمة

العظة الخامسة عشرة[1]

للقدِّيس كيرلس الكبير

(٣٧٥ - ٤٤٤م)

عظيمٌ هو سرُّ التَّقوى:

١ - عميقٌ حقًّا، وعظيمٌ، وجديرٌ بالإعجاب، هو سرُّ التَّقوى، ومرغوب جدًّا، حتَّى من الملائكة القدِّيسين أنفسهم؛ فقد قال تلميذُ المُخلِّص في موضعٍ ما عن الأمور الَّتي نطق بها الأنبياء القدِّيسون عن المسيح مُخلِّصِنا جميعًا: «الَّتِي أُعْلِنَتْ لَكُمُ الآنَ، بِوَاسِطَةِ الَّذِينَ بَشَّرُوكُمْ فِي الرُّوحِ القُدُسِ الْمُرْسَلِ مِنَ السَّمَاءِ. الَّتِي تَشْتَهِي الْمَلاَئِكَةُ أَنْ تَطَّلِعَ عَلَيْهَا» (١بط ١: ١٢ بحسب النَّصِّ). وهكذا، فإنَّ الملائكة الَّذين تطلَّعوا على سرِّ التَّقوى العظيم وفهموه، حين صار المسيحُ مولودًا بحسب الجسد، قدَّموا الشُّكرَ من أجلنا، قائلين: «المجدُ للهِ في الأعالي، وعلى الأرضِ سلامٌ، وفي النَّاسِ مسرَّةٌ» (لو ٢: ١٤). فكيف لا يمتلئون فرحًا، وهم يَرَوْنَ مُخلِّصَ العالمِ وفاديه مولودًا من العذراء القدِّيسة؟ أولئك الَّذين، وإنْ تابَ خاطئٌ واحدٌ فقط، يُعَيِّدُونَ، كما يقول المُخلِّص (لو ١٥: ١٠). فَلْتَرقصْ، إذًا، من أجلنا جماهير الأرواحِ القدِّيسَة.

وما هو السَّبب لهذا الأمر؟ إنَّما هو تجسُّد الابن الوحيد، ولادته بحسب الجسد، وسِعَة لُطفه نحونا، وعظمة محبَّته للبشر الَّتي لا مثيل لها. فإنَّ النَّبيَّ الطُّوباويَّ إشعياء يقول: «اِبْتَلَعَ المَوْتُ مُتَجَبِّرًا، وأيضًا مَسَحَ اللهُ كلَّ دمعةٍ عن كلِّ وجه» (إش ٢٥: ٨ س). فقد أزال بطريقةٍ ما كلَّ دمعة عن كلِّ وجه. أمَّا كيف ألغى تلك اللَّعنة القديمة وجعلها بلا أثر؟ وكيف أبطل سلطان الموت الَّذي لا يُقاوَم؟ فَيُعلِّمنا ذلك أيضًا الحكيم جدًّا بولس، إذ يقول: «فَإِذْ

(١) ترجمة للنَّصِّ اليونانيِّ المنشور في: De incarnatione Dei Verbi (CPG: 5259) PG 77 1089-1096. وهذه العظة هي ضمن ٢٢ عظة للقدِّيس كيرلس الكبير موضوعة تحت عنوان: Homiliae Diversae (عظات متفرِّقة).

قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلَادُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ، وَيُعْتِقَ أُولئِكَ الَّذِينَ خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعًا كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ» (عب ٢: ١٤، ١٥).

أخلى نفسه آخذًا صورة عبد:

٢ - فما معنى قول الرسول: «اشترك هو أيضًا كذلك فيهما»؟ إلَّا بكلِّ وضوح أنَّه صار مثلنا، مولودًا من القدِّيسة مريم والدة الإله، بدمٍ ولحمٍ. فمع إنَّه إلهٌ بالطبيعة، والكلمة الحقيقيُّ الَّذي من الله الآب، المساوي ὁμοούσιος في الجوهر والأزليَّة مع الآب، والمُتعالي في مجد تفوُّقِهِ الخاصِّ، وفي الصُّورة والمساواة مع الَّذي ولده، لم يحسب خلسةً أن يكون معادلًا لله، لكنَّه أخلى نفسه، آخِذًا صورة عبد (من القدِّيسة مريم)، صائرًا في شِبْه النَّاس، وإذ وُجد في الهيئة كإنسان، وَضَعَ نفسه حتَّى الموتَ، موتَ الصَّليب (في ٢: ٦، ٧).

فإذًا، قد أهبط نفسه بإرادته في التَّواضع، وهو الَّذي من ملئه الخاصِّ يُعطي الجميع، وقد وَضَعَ نفسه لأجلنا، لا مُجبَرًا من أحد، بل طوعًا من أجلنا. أَخَذَ صورة عبد، وهو بطبيعته الخاصَّة حرٌّ. صار فيما يخصُّنا، ذاك الَّذي هو فوق كلِّ الخليقة. صار تحت سلطان الموت، وهو الَّذي يُحيي الجميع، فهو نفسه «الخبز الحيُّ، الَّذي يُعطي الحياةَ للعالم» (يو ٦: ٥١). صار معنا تحت النَّاموس، ذاك الَّذي هو فوق النَّاموس، إذ هو واضع النَّاموس، بصفته إلهًا، صار مع الخاضعين للصَّيرورة، ومع مَن نالوا بدايةً لوجودهم، ذاك الَّذي هو قَبل كلِّ دهر وزمان، بل بالأحرى الَّذي هو خالق الدُّهور وصانعها.

أَخَذَ الَّذي لنا:

٣ - فكيف صار مثلنا؟ لقد أَخَذَ جسدًا من العذراء القدِّيسة، جسدًا ليس بلا نفس، كما ظنَّ بعض الهراطقة، بل جسدًا حيًّا بنفسٍ عاقلة. وهكذا خرج إنسانًا كاملًا من امرأة (غل ٤: ٤)، بلا خطيَّة، حقًّا، لا خيالًا ولا وهمًا. لم يُقلِّلْ من كونه إلهًا، ولا تخلَّى عمَّا كان عليه دائمًا، وما هو عليه، وما سيكون: إلهًا. لذلك نقول عن العذراء القدِّيسة إنَّها والدة الإله، كما يقول الطُّوباوي بولس: «إلهٌ واحدٌ وآبٌ واحدٌ، الَّذي منه كلُّ شيء، ويسوع المسيح الواحد، الَّذي به كلُّ شيء»(١كو ٨: ٦).

فنحن لا نقسِّم إلى ابنَيْن إلهنا ومخلِّصنا الواحد، كلمةَ الله، المُتجسِّد والمُتأنِّس؛ ولا كما

يظنُّ بعض الهراطقة والجُهَّال، أنَّ اللَّاهوت والنَّاسوت قد امتزجا ببعضهما البعض؛ أو أنَّ كلمة الله قد تحوَّل إلى طبيعة الجسد؛ أو أنَّ الجسد قد تغيَّر إلى طبيعة اللَّاهوت. ولكن كلمة الله غير قابل للتَّغيُّر ولا للتَّحوُّل البتَّة؛ بل، لأنَّه وحَّد بنفسه جسدًا حيًّا بنفسٍ عاقلة، من العذراء القدِّيسة، ولذلك يُقال بحقٍّ إنَّ كلمة الله قد تجسَّد وتأنَّس بطريقةٍ تفوق الوصف.

مساوٍ لنا كالتَّدبير بحسب النَّاسوت:

٤ – يكفي، إذًا، من أجل اعترافنا بالإيمان القويم وغير المُشوَّه، أن نقول ونعترف بأنَّ العذراء القدِّيسة هي والدة الإله. وأمَّا أنْ نُضيف أيضًا أنَّها "والدة الإنسان"، فليس ضروريًّا ولا نافعًا. فقد تعلَّمْنا أنْ نعترف بإلهٍ واحد، ونؤمن به، حتَّى بعد التَّجسُّد، كما يقول بولس: «يوجد إلهٌ واحد، ووسيطٌ واحد بين الله والناس» (١تي ٢: ٥).

فنحن نقول إنَّ كلمة الله قد صار إنسانًا بلا تغيير. وحيث إنَّه جاء في طبيعة الجسد، فقد ولدت العذراء القدِّيسة جسدًا مساويًا ὁμοούσιον لها ولنا في الجوهر. لكن لقب "والدة الإله"، يتضمَّن بالضَّرورة هذا المعنى أيضًا: فالعذراء القدِّيسة لم تلد اللَّاهوت مجرَّدًا، بل كلمة الله المُتَّحد بالجسد. ولا يمكن أن يُفهم لقب "والدة الإله" إلَّا بهذا المعنى.

لذلك، فالاعتراف بالتَّجسُّد يسبق دومًا (هذا اللَّقب)، وبهذا يكون حقًّا أنَّ العذراء القدِّيسة قد صارت والدة الإله، إذ ولدت بشكلٍ عجيبٍ المسيحَ الواحد، الذي صار شريكًا لنا بنوعٍ ما في الجسد والدَّم، وصار مساويًا ὁμοούσιον لها ولنا في الجوهر بحسب النَّاسوت[٢]، لأنَّ جسده كان من والدة الإله مريم. فلم يكن مُشابهًا في الجوهر ὁμοούσιον، كما ظنَّ بعض الهراطقة، بل مساويًا في الجوهر ὁμοιοούσιον، أيْ من جوهرنا نحن. إذ يقول: «إنَّه يُمْسِكُ نسلَ إبراهيم» (عب ٢: ١٦). أمَّا لفظ "مُشابه في الجوهر ὁμοιοούσιον"، فإنَّه لا يدلُّ على إنسانٍ حقيقيٍّ، بل على شِبْه ابن إنسان، كما يقول دانيال (دا ١٠: ١٦)[٣].

---

(٢) لقد دخل هذا التَّعبير اللَّاهوتيُّ في ثيئوطوكيَّة يوم الأحد - القطعة الثَّانية: "وناسوت طاهر، بغير مُباضعة، مساوٍ لنا، كالتَّدبير".

Ⲛⲉⲓ ⲟⲩⲙⲉⲧⲣⲱⲙⲓ ⲉⲥⲟⲩⲁⲃ : ϫⲱⲣⲓⲥ ⲥⲩⲛⲟⲩⲥⲓⲁ : ⲛ̀ⲟⲙⲟⲟⲩⲥⲓⲟⲥ ⲛⲉⲙⲁⲛ : ⲕⲁⲧⲁ ϯⲟⲓⲕⲟⲛⲟⲙⲓⲁ.

(٣) "وَهُوَ ذَا كَشِبْهِ ابْنِ إِنْسَانٍ" καὶ ἰδοὺ ὡς ὁμοίωσις υἱοῦ ἀνθρώπου (دا ١٠: ١٦).

لكن الرَّسول لم يُعلِّمْنا أنَّه (أي الرب يسوع) شبهنا، بل قال: «الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً لأَجْلِ الْجَمِيعِ» (١تي ٢: ٥، ٦). وهو مساوٍ في الجوهر لله الآب من حيث لاهوته، كما اعترف آباؤنا، قائلين: إنَّه "مُساوٍ للآب في الجوهر[٤] ὁμοούσιον"، وليس "مُشابهًا في الجوهر ὁμοιοούσιον".

لا شركة للنُّور مع الظُّلمة:

٥ - فإذَا قُلْنَا: "والدة الإله"، فمن الفضول وبلا ضرورة أنْ نُضيف أيضًا: "والدة الإنسان"، فإنَّ اللَّفظة الأولى، كما قلتُ، تحمل الاعتراف بسرِّ (خلاصنا) كلِّه، ولا تُتيح فرصةً للجدل لمَنْ يريدون أن يُحرِّفوا الحقَّ. فمن عادة الهراطقة أنْ يحوِّلوا الأقوال الصَّحيحة إلى معاني مُزيَّفة، لكنَّنا لا نستغرب من ذلك بأيِّ حال، عالمين أنَّهم يضلُّون، ويُسيئون تفسير الكُتُب الإلهيَّة ذاتها.

لذلك، علينا نحن أنْ نُقدِّم الألفاظ اللَّائقة بالنَّظرة الصَّحيحة والمستقيمة، أمَّا إنْ فهموها هم على غير وجهها الصَّحيح، فلا شأن لنا بذلك. لأنَّهم سيسمعون ما قاله النبيُّ: «وَيْلٌ لِلْقَائِلِينَ لِلشَّرِّ خَيْرًا وَلِلْخَيْرِ شَرًّا» (إش ٥: ٢٠).

لكن لا شركة للنُّور مع الظُّلمة، ولا اتِّفاق للمسيح مع بليعال (٢كو ٦: ١٤، ١٥). فنحن نسلك الطَّريق المستقيم غير الملتوي، السَّبيل الملكيَّ غير المُنحرف، وسنبلغ هكذا إلى جعالة الدَّعوة العُليا (في ٣: ١٤) في المسيح يسوع، الَّذي به ومعه، لله الآب المجد، مع الرُّوح القدس، إلى دهر الدُّهور. آمين.

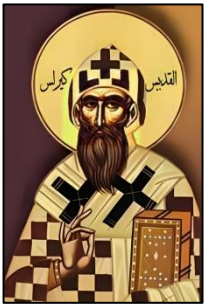

(٤) انظر ثيئوطوكيَّة يوم الأحد - القطعة الثَّانية: "واحدٌ من اثنين، لاهوت قدُّوس، بغير فساد، مساوٍ للآب".

Ⲟⲩⲁⲓ ⲡⲉ ⲉ̀ⲃⲟⲗϧⲉⲛ ⲥ̀ⲛⲁⲩ: ⲟⲩⲙⲉⲑⲛⲟⲩϯ ⲉⲥⲧⲟⲩⲃⲏⲟⲩⲧ: ⲉⲥⲟⲓ ⲛ̀ⲁⲧⲧⲁⲕⲟ: ⲛ̀ⲟ̀ⲙⲟⲟⲩⲥⲓⲟⲥ ⲛⲉⲙ Ⲫ̀ⲓⲱⲧ.

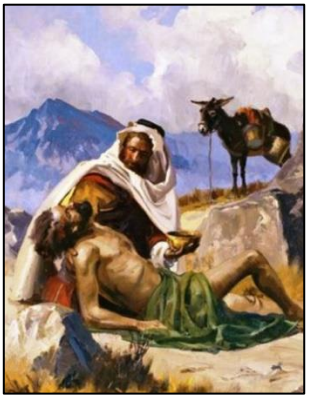

تعاليم آبائيَّة

محبَّتنا لله وللقريب[1]

للقدِّيس باسيليوس الكبير

أسقف قيصرية الكبادوك

(٣٣٠ – ٣٧٩م)

مَنْ قد انفكُّوا من هموم هذا العالَم، يليق بهم أن يسهروا على حياتهم الداخلية الخاصَّة بكلِّ حرص، حتى لا يوجد قلبهم خاويًا في وقتٍ ما من الهذيذ في الله، أو مُلوَّثًا لذكرى أعاجيبه الإلهيَّة بالتصوُّرات الأرضيَّة الباطلة؛ بل بالأحرى فلينطبع الفكر المقدَّس في الله كخاتم على النفس بالذِّكْر الطاهر الدائم، نضعه نُصْب أعيننا في كلِّ زمانٍ وفي كلِّ مكانٍ.

لأنه عن هذا الطريق تُبادر إلينا محبة الله حتى في أثناء تأدية أعمالنا اليومية، وتبعث فينا الحميَّة لحفظ وصايا الرب، وبالتالي تحفظنا من الفشل أو الانحراف. مَنْ تملَّكت عليه الرغبة الحارَّة في اتِّباع المسيح، فلا يقدر بعد أن يعود ويُحوِّل فكره إلى مُتعلِّقات هذه الحياة (الدُّنيا)، حتى ولا إلى محبة الوالدين أو الاقارب، إذا كانت أيٌّ من هذه تتعارَض مع وصايا الرب بأيِّ حالٍ. وبهذه الصورة نفهم القول المُبارَك: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلَا يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ ... فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا» (لو ١٤: ٢٦).

وهذا ما يُعلِّمه لنا أيضًا تلاميذ الرب القدِّيسون: يعقوب ويوحنا، اللذان برأي واحد تركا أباهما زبدي، بل وحتى السفينة التي كانت تعتمد عليها كلُّ معيشتهم؛ ثم أيضًا متَّى الذي ترك مكان الجباية وتبع الرب، وهو الذي تخلَّى ليس فقط عن مكاسب مهنته، بل استهان بكلِّ المخاطر المُترتِّبة على ذلك ...

وبولس الرسول أيضًا كان يفتخر بصليب ربنا يسوع المسيح ويقول: «الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ

---

(١) القريب في المفهوم المسيحي هو الذي تربطني به ضرورة اجتماعية، كأن يكون جارًا في السكن أو زميلًا في العمل، رئيسًا كان أو مرؤوسًا، أيًّا كان دينه أو مذهبه أو جنسه، ولا سيَّما إذا كان في حاجة إلى محبَّتي العمليَّة (راجع قصة "السامري الصالح": لو ١٠: ٣٠ – ٣٧). والذي ننشره في هذا العدد هو حديثٌ يوجِّهه القدِّيس باسيليوس لأبنائه الرهبان، ولكنه نافعٌ لكلِّ مسيحي.

الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ» (غل ٦: ١٤)، لأنه عندما تملأ محبة الله النفس ينتفي كلُّ صراع. وحتى لو رَشق كلُّ الناس هذه النَّفْس بسهامهم (من أيِّ نوعٍ كانت) من أجل مَنْ تحبُّه، فسوف يكون ذلك داعيًا لفرحها أكثر مِمَّا لآلامها. لأنه إذا كان الوضع الطبيعي أن يكون لنا حبٌّ وامتنانٌ للذين أحسنوا إلينا، بل إذا كان من السهولة أن نتحمَّل أيَّة مشقَّة في سبيل أن نردَّ لهم معروفهم الذي عملوه معنا؛ فبأيِّ عباراتٍ لائقة يمكننا أن نصف عطايا الله، التي بسبب كثرة عددها نعجز عن إحصائها! فهي جميلة وعجيبة، وإن تأمَّلنا ولو في واحدة منها، فلن نكفَّ عن تقديم الشُّكر للمُنعِم علينا.

ولكن الله كُلِّي الخيريَّة، كُلِّي الجُود، لا يطلب منَّا العِوَض، ويكتفي فقط بأن نحبَّه في مقابل ما أعطانا إيَّاه. وفي الواقع، بمجرَّد تأملي في إحسانه – إذا سمحتم لي أن أبوح لكم بما يجول في نفسي – ينتابني قلق رهيب مُخيف، لئلَّا بسبب تهاون النفس في اليقظة، أو من جراء الانهماك في الأمور الباطلة، أَسقُط من محبة الله وأصبح عارًا للمسيح، الأمر الذي سيجعل الشيطان يتشامخ علينا ويُعيِّرنا بإهانتنا لله وعدم مُبالاتنا؛ حتى أنَّ هذا الذي لم يخلقنا ولم يتألَّم من أجلنا (أي الشيطان) سيتسلَّط علينا ويجعلنا كمُشتركين في عدم طاعته هو لله وإهماله لوصاياه. مثل هذه الإهانة الموجَّهة للربِّ، وإعطاؤنا العلَّة للعدوِّ لأن يسخر بالمسيح الذي مات من أجلنا وقام؛ هذا أفظع عندي من آلامات الجحيم.

يليق بنا أن نحبَّ ربنا وإلهنا بكلِّ قوَّة المحبة التي فينا. وعلينا أيضًا بالمثل أن نحبَّ قريبنا، بل وعلينا أيضًا أن نحبَّ أعداءنا، حتى نكون كاملين مُتمثِّلين بلُطف أبينا الذي في السموات، الذي يُشرق شمسه على الصالحين والطالحين (مت ٥: ٤٥). إنه داءٌ وبيلٌ أن نُبدِّد قوَّة المحبَّة في أمورٍ باطلة. وإذا كان عمل المحبَّة يليق باسمها، فمِن دواعي السُّخرية أن نحفر بمعول هنا، وآخر هناك؛ نغدق على هؤلاء فقط من سخائنا، ونستبعد أولئك نهائيًّا من دائرة محبَّتنا التي يُفتَرَض فيها أن تكون شاملة ...

لا يمكن لأيِّ بناء أن يقوم إذا انهارت أساساته، ولا لأيَّة كنيسة أن تنمو وتزداد إنْ لم ترتبط معًا بروابط السلام والمحبة. ليس شيءٌ يتوافق مع طبيعتنا مثل أن نعيش في سلام أحدنا مع الآخر، وأن نتبادل الحبَّ والودَّ بعضنا مع بعض، ونحن في حاجة، كلٌّ منَّا لمُساعدة الآخر أكثر مِمَّا تحتاج إحدى اليدين للأخرى.

إنني عندما أتأمَّل في أعضاء الجسد، وأرى أنَّ ولا واحد منها يكتفي بنفسه، فكيف أقدر أن أَعتَبِر نفسي مُكتفيًا بذاتي من أجل قوام حياتي الخاصَّة؟ رِجلٌ واحدة لا يمكنها أن تتحرَّك بأمانٍ ما لم ترتكز على الأخرى، ولا عين واحدة ترى شيئًا بوضوح ما لم تشترك معها العين الأخرى ... ونحن نسمع بدقَّة أكثر عندما يأتينا الصوت من خلال الأُذُنين معًا، وقبضة اليد تكون أقوى عندما تنضمُّ الأصابع مع بعضها. وقُصارَى القول، فإنه لا يمكن لأيِّ شيء يعمل بالطبيعة، أو أي شي يعمل بإرادتنا الحُرَّة، بدون توافُق هذه الأعضاء التي من النوع الواحد. بل حتى صلاتنا الخاصَّة، هي أضعف من صلاتنا عندما نكون في شركة مع الآخرين.

لا يمكن لشيء أن يفصلنا عن بعضنا البعض ما لم نرغب نحن ذلك بمَحْض إرادتنا؛ لأن لنا ربًّا واحدًا، وإيمانًا واحدًا، ولنا نفس الرجاء الواحد، حتى لو تصوَّرتَ نفسك رأسًا، فالرأس لا يمكن أن تقول للرِّجْلَيْن: «لَا حَاجَةَ لِي إِلَيْكُمَا!» (١كو ١٢: ٢١) ... لا تَدَعوا مثل هذا الفكر يتسلَّط عليكم بقولكم: "إننا قد ابتعدنا عن المآسي التي يُقاسي منها عامة الناس. فما حاجتنا بعد للاختلاط بالآخرين"؟ ولكن أقول لكم: "إنَّ الربَّ الذي فصل بالبحر بين الجزائر والقارات، عاد فربط بين سكان كليهما بالمحبة" ...

أتريدون أن تعرفوا ماذا تفعلون مع القريب؟ ما ترغبون أن يفعله الآخرون بكم، افعلوه أنتم أيضًا بهم! أتعرفون ما هو الشر؟ هو ما لا تودُّون أن تُعانوا أنتم منه من جهة الآخرين.

وإذا كنتم قد سمعتم من الله هذا القول: «بِهذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلَامِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ» (يو ١٣: ٣٥)، وإذا كان الربُّ عندما كان مُزمعًا أن يُكمِّل العمل الذي تجسَّد لأجله، ترك سلامه لتلاميذه كهبة الوداع، بقوله: «سَلَامًا أَتْرُكُ لَكُمْ. سَلَامِي أُعْطِيكُمْ» (يو ١٤: ٢٧)؛ فعليه لا يمكنني أن أقول – بدون محبة للآخرين، وبدون سلام، بقدر ما أحوزه منه فيَّ وبقدر ما أستطيع مع كلِّ الناس – إنني جديرٌ بأن أُدعى تلميذًا للمسيح.

كذلك ينبغي أن تكون محبَّتنا هي هي لكلِّ الناس مَشاعًا للجميع، كما إنَّ الإنسان طبيعيًّا يهتمُّ بكلِّ من أعضائه، راغبًا في أن يكون سائر جسده صحيحًا بالتمام، لأن الألم في العضو الواحد يُبرِّح الجسد كلَّه. فمَنْ يحب شخصًا ما من أعضاء جماعته أكثر من آخر، فهو يكشف بهذا عن نُقصان محبَّته هو. فهناك أمران مُتماثلان في عدم المنفعة للجماعة أو للأسرة: النزاع المعيب، والوداد الخاص (العواطف الخاصَّة)؛ لأن العداوة تتأتَّى من

المُشاحنة، والغيرة والحسد والرِّيبة تأتي بسبب العلاقات الودِّيَّة الخاصَّة. لأنه حيثما يوجد اختلال في المساواة، تبدأ علَّة الغيرة والبَغْضَاء عند مَنْ جِير عليهم.

ولكن مَنْ يريد أن يتمثَّل تمامًا بصلاح الله الذي وَهَبَ نوره للكلِّ بالتساوي، ويُشرق شمسه على الصالحين والطالحين على حدٍّ سواء؛ عليه أن يفيض بأشعة محبَّته الدافئة على الكلِّ سواءً، لأنه حيثما تهبط المحبة وتتوارى، فبدون أدنى شكٍّ، ستحلُّ مكانها الكراهية. وإذا كان، حسبما يقول يوحنا (الرسول): «اللهُ مَحَبَّةٌ» (١يو ٤: ١٦)، فبالتالي يكون "الشيطان بُغضة". إذن، مَنْ يقتني المحبَّة في داخله، فالله هو الذي يكون فيه؛ وأيضًا مَنْ يُكِنُّ البغضاء في داخله، فالشيطان نفسه هو الذي يحتله.

وإذا كانت هذه هي طبيعة المحبة، فعلينا أن نُظهِر نفس المحبة لكلِّ الناس وعلى حدٍّ سواء، ونُقدِّم لكلِّ الناس الكرامة والوقار اللائقين بكلِّ واحدٍ. ففي جسدنا الواحد يؤثِّر الألم في عضوٍ ما على الجسد كلِّه، وهذا أيضًا بالرغم من أنَّ بعض الأعضاء أكثر أهمية من الأخرى (فالضرر الذي يلحقنا بسبب جرح في إصبع الرِّجْل، ليس كالذي يلحقنا من الجرح الذي يُصيب إحدى العينين، مع إنَّ الألم الناتج عن كليهما واحد).

وعلى هذا المثال، علينا أن نُقدِّم محبةً واحدةً وتعاطُفًا متساويًا لكلِّ مَنْ نعيش معهم على السواء. أمَّا أولئك المستحقُّون لكرامةٍ أكثر، فعلينا أن نُقدِّم لهم الوقار اللائق بهم. ولكن بين المُرتبطين برباط حياةٍ روحيَّة مشتركة، لا ينبغي أن يكون هناك تعاطُف أكثر من آخر بسبب قرابةٍ جسديَّة حتى ولو كان أخًا أو ابنًا أو ابنة، لأن مَنْ يسلك هكذا يكون مدفوعًا بالطبيعة، بل ما يزال محكومًا بالجسد. ولله المحبَّة إلى أبد الآباد كلها، آمين.

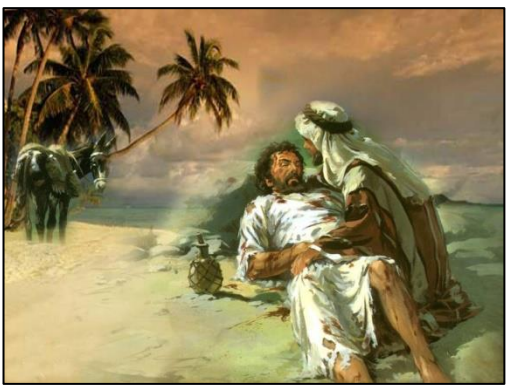

مقال مترجم

الاتِّحاد بالمسيح[1]

خطَّة إلهيَّة أزليَّة

لأجل خاصَّته المفديِّين بدمه

✠

«اُثْبُتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ» (يو ١٥: ٤):

الاتِّحاد بالمسيح، هو الحقيقة الجوهريَّة المحوريَّة لعقيدة الخلاص بأكملها. فهو ليس ببساطة أحد جوانب تطبيق عقيدة الفداء؛ بل إنه يُشكِّل أساس كلِّ جوانب الفداء. إنه مركز ومحيط دائرة الوجود البشري الحقيقي، أي الوجود المسيحي الأصيل. وهذا يُشكِّل أساس لاهوت الخلاص كلِّه. وينبغي أن نفهم أنه طالما أنَّ المسيح يبقى خارجًا عنَّا وأننا نحن مُنفصلون عنه؛ فإنَّ كلَّ ما فعله وتحمَّله من الآلام لأجل خلاص الجنس البشري، يبقى بلا فائدة وبلا قيمة بالنسبة لنا. فكلُّ ما للمسيح يكون لا شيء بالنسبة لنا إلى أن ننمو في جسدٍ واحدٍ معه.

وواضحةٌ هي العلاقة المُتبادَلة بين الاتِّحاد بالمسيح ودور الروح القدس في خلاصنا. فنحن بواسطة الروح القدس فقط يمكننا أن نصير واحدًا مع المسيح، ويمكن للمسيح أن يحيا في قلوبنا. ويهمُّنا الآن أن نُلاحظ التعليم الكتابي عن الاتِّحاد بالمسيح، لأننا لن نخلص حتى نصير واحدًا مع المسيح. وإنَّ بقاءنا في طريق الخلاص، يظلُّ قائمًا فقط عندما نبقى في وحدةٍ معه.

فالعهد الجديد يصف هذه الحقيقة المُذهلة، أنه يمكننا أن نصير واحدًا مع المسيح وذلك بطريقتين:

فأحيانًا يُعلِّم الإنجيل أننا **واحدٌ مع المسيح** كمؤمنين. فهو يقول بخصوص كوننا خليقة جديدة: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا» (٢كو ٥: ١٧)، وأيضًا: «لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ: لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلَا يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلَا حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ

(١) هذا المقال ترجمة للفصل الرابع من كتاب: Saved by Grace وعنوانه: Union with Christ، لمؤلِّفه Anthony Hoekema (١٩١٣ – ١٩٨٨م). وهو مدرِّس اللَّاهوت النظامي في جامعات أمريكا.

يَسُوعَ» (غل ٣: ٢٧، ٢٨). «لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (أف ٢: ١٠). «بِهذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا نَثْبُتُ فِيهِ وَهُوَ فِينَا: أَنَّهُ قَدْ أَعْطَانَا مِنْ رُوحِهِ» (١يو ٤: ١٣). ونُلاحظ من آيات القدِّيس بولس أنَّ الشهوة التي كانت تأكل قلبه هي أن يكون في المسيح: «أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ، وَأُوجَدَ فِيهِ» (في٣: ٨، ٩).

كما يُخبرنا الإنجيل أنَّ **المسيح فينا:** «إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كَلاَمِي، وَيُحِبُّهُ أَبِي، وَإِلَيْهِ نَأْتِي، وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلًا» (يو ١٤: ٢٣). «مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لَا أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ» (غل ٢: ٢٠). كما إنَّ الرسول بولس يُصرِّح بقوله: «الَّذِينَ أَرَادَ اللهُ أَنْ يُعَرِّفَهُمْ مَا هُوَ غِنَى مَجْدِ هذَا السِّرِّ فِي الأُمَمِ، الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ رَجَاءُ الْمَجْدِ» (كو ١: ٢٧).

وهذا الفكر نجده أيضًا في (رو ٨: ١٠)، وفي (أف ٣: ١٧)، وأيضًا في (٢كو ١٣: ٥)، حيث يقول: «أَمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَ أَنْفُسَكُمْ، أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ فِيكُمْ»؟ وكان الربُّ يسوع قد سبق أن أكَّد لنا بخصوص تناولنا من سرِّ الإفخارستيَّا قائلًا: «مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ» (يو ٦: ٥٦). فهو يوصينا قائلًا: «اُثْبُتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ» (يو ١٥: ٤). والقدِّيس يوحنا يقول: «بِهذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا نَثْبُتُ فِيهِ وَهُوَ فِينَا: أَنَّهُ قَدْ أَعْطَانَا مِنْ رُوحِهِ» (١يو ٤: ١٣).

ويبدو أن هذين التعبيرين: **يثبت فينا ونحن نثبت فيه،** قابلان للتبادُل أحدهما مع الآخر، لأننا عندما نكون في المسيح يكون المسيح أيضًا فينا. إنَّ حياتنا في المسيح وحياته فينا مُتلازمان غير منفصلين مثل الأصبع والإبهام في الكفّ. وعندما نفكِّر في مدى واتِّساع الاتِّحاد بالمسيح، فعلينا أن نرى أنَّ هذا الاتِّحاد ممتدٌّ ومتَّسعٌ من الأزليَّة إلى الأبديَّة. فالاتِّحاد بالمسيح قد بدأ بقرارٍ إلهي فيما قبل الزمن، بأن يُخلِّص الله شعبه في المسيح ومن خلاله. بل إنَّ هذا الاتِّحاد مؤسَّسٌ على العمل الفدائي الذي أكمله المسيح لأجل شعبه في التاريخ. وأخيرًا نقول: إنَّ هذا الاتِّحاد قد ترسَّخ بالفعل مع شعب الله بعد أن وُلدوا روحيًّا، ويستمر على مدى حياتهم، وأنَّ الهدف منه هو أن يتمجَّدوا إلى الأبد مع المسيح في الدهر الآتي.

الاتِّحاد بالمسيح، وعمله الفدائي:

ثم نواصل مسيرتنا لنرى أنَّ الاتِّحاد بالمسيح له جذوره في الاختيار الإلهي، ونرى أساسه في عمل المسيح الفدائي؛ كما نرى تأسيسه الفعلي مع شعب الله في الزمن. فبخصوص رؤية

جذوره في الاختيار الإلهي، يقول الرسول بولس: «مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ، كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلَا لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ» (أف ١: ٣، ٤). وهذا يجعلنا نعتقد أنَّ الاتِّحاد بالمسيح لا بدَّ أنه بدأ بقرار الله السَّخي الذي اتَّخذه قبل تأسيس العالم لكي يُخلِّص شعبه في المسيح.

هكذا يقول القدِّيس بولس: إنَّ "الله قد باركنا بكلِّ بركة روحيَّة في المسيح"، ليس على أساس استحقاقنا، ولكن لأن الله اختارنا في المسيح قبل تأسيس العالم. ونحن نتعلَّم من عبارة: "قبل تأسيس العالم"، أنَّ اختيار الله لشعبه يجب أن يُفهَم أنه تمَّ قبل أن يدعو هذا الكون إلى الوجود. ونجد هذا التعبير في موضعين آخرين في العهد الجديد: في صلاة الربِّ يسوع الأخيرة: «لأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ» (يو ١٧: ٢٤)، وفي تعليم القدِّيس بطرس: «دَمِ الْمَسِيحِ، مَعْرُوفًا سَابِقًا قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، وَلكِنْ قَدْ أُظْهِرَ فِي الأَزْمِنَةِ الأَخِيرَةِ مِنْ أَجْلِكُمْ» (١بط ١: ١٩، ٢٠). فكما أحبَّ الآب ابنه الوحيد واختاره قبل تأسيس الكون، هكذا نحن شعب المسيح اختارنا الآب قبل تأسيس العالم وقبل أن يوجد أيُّ واحدٍ منَّا. ونحن لن نتمكَّن من إدراك ذلك، ولكننا في تعجُّبنا نستطيع فقط أن نحني رؤوسنا إجلالًا لهذا السرِّ!

لقد اختارنا الله «لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلَا لَوْمٍ قُدَّامَهُ». هذه الكلمات تُظهِر ليس قصد الله الذي أضمره في اختيارنا فحسب؛ بل إنها أيضًا تنتزع منَّا كلَّ أساس للكبرياء أو الافتخار. حقًّا، إنَّ الفضل لله وحده في اختيارنا لنكون قدِّيسين، لأنه قدوسٌ ويليق به أن يكون شعبه الذي يلتصق به إلى الأبد مُشابهًا له.

وتهمُّنا هنا كلمة **"فيه"**، فإنَّ تعبير **"في المسيح"** يؤكِّد على طريقة خلاصنا السَّخيَّة: فقد اختارنا الله الآب لنخلص على أساس وحدتنا في المسيح التي اختارها لنا سلفًا.

وعبارة «كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ» (أف ١: ٤)، تتضمَّن – فضلًا عن ذلك – أنَّ اختيار الله لنا لكي نخلص لا يجب أن يُعتَقَد إطلاقًا أنه منفصلٌ عن المسيح. فاتِّحاد المسيح بشعبه كان مُخطَّطًا له منذ الأزل بقرارٍ إلهي اختارنا الله به كشعبٍ خاص به. والمسيح نفسه كان مختارًا ليكون مُخلِّصًا لنا قبل تأسيس العالم (١بط ١: ٢٠). كما إنَّ القدِّيس بولس يُخبرنا في (أف ١: ٤، ٥)، أنه عندما اختار الآبُ المسيحَ، اختارنا نحن أيضًا فيه. وقد دبَّر الآب أن يكون للمسيح شعبٌ خاصٌّ به منذ الأزل وإلى الأبد. وبتعبيرٍ آخر، فإنَّ الذين صاروا مختارين للخلاص، لم يتفكَّر الآب فيهم

بدون المسيح، أو بدون العمل الذي كان على المسيح أن يُتمِّمه لأجلهم. لقد اختيروا في المسيح.

ولم يُقرِّر الله أولًا أن يُخلِّص شعبه من خطاياهم، ثم بعد ذلك يجعل المسيح مُتمِّمًا لهذا الخلاص. فالاتِّحاد بالمسيح ليس أمرًا مُضافًا إلى خلاصنا، بل إنه مخطَّطٌ له منذ الأزل عند الله. فالمسيح لا ينبغي أن يُفكِّر فيه أحدٌ بدون شعبه، ولا في شعبه بدونه هو!

فحقيقة كوننا مختارين في المسيح منذ الأزل، إنما هي أساسيَّة للاهوت الخلاص كلِّه. إننا نحصل أخيرًا على كلِّ بركات الخلاص فقط، وذلك بسبب اتِّحادنا بالمسيح المُعيَّن لنا سابقًا قبل إنشاء العالم، والمجد كلُّه يكون لله وحده!

أساس الاتِّحاد بالمسيح:

منذ أن قدَّم الآب لابنه شعبًا ليفديهم من الخطية، نزل المسيح إلى أرضنا مُتجسِّدًا ليأخذ على عاتقه هذا العمل الفدائي لأجل خلاص شعبه. ونحن نذكر ما قاله الملاك ليوسف النَّجَّار قبل ولادة الرب: «تَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ. لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ» (مت ١: ٢١). وقد أخبرنا الربُّ يسوع نفسه أنه جاء إلى العالم ليفدي شعبًا خاصًّا: «أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ، وَالرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْذِلُ نَفْسَهُ عَنِ ("لأجل" حسب اليوناني) الْخِرَافِ» (يو ١٠: ١١). وهذا الكلام يرتبط به القول: «كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ» (أف ١: ٤).

وكلمة "خراف" هنا تعني: الشعب المُختار في المسيح قبل تأسيس العالم، والذي بذل المسيح نفسه لأجل خلاصهم. ثم يقول الربُّ بعد ذلك لليهود غير المؤمنين به والذين أحاطوا به: «وَلكِنَّكُمْ لَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنْ خِرَافِي» (يو ١٠: ٢٦)، وهذا دليلٌ على أنهم لا ينتمون لخراف المسيح. وهذا لا يعني بالضرورة أنَّ أيَّ واحدٍ منهم يستحيل أن يؤمن به فيما بعد.

ومعروفٌ أنَّ الله لا يختار شعبه الخاص به جزافًا، بل إنه يختار الإنسان بناءً على معرفته بما يُكِنُّه في قلبه من اشتياق إليه، واستعداده لأن يتبعه مهما كانت النتائج!

ونُلاحظ في كلام الربِّ بعد ذلك، أنَّ الحماية الأبديَّة لرعية المسيح ترتبط بحقيقة أنَّ المسيح يُتمِّم عمله الفدائي لشعبه: « خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي، وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتْبَعُنِي. وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الأَبَدِ، وَلَا يَخْطَفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي» (يو ١٠: ٢٧، ٢٨). إنَّ الرعية التي يضع المسيح حياته لأجلها، هي التي تتمتَّع بهذه الحماية أو الضمان وليس الذين

يرفضونه، فيكشفون عن كونهم لا ينتمون إلى خرافه. كما إنه يقول: «هذِهِ مَشِيئَةُ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي: أَنَّ كُلَّ مَا أَعْطَانِي لَا أُتْلِفُ مِنْهُ شَيْئًا، بَلْ أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ» (يو ٦: ٣٩). وفي صلاته الوداعية يقول للآب: «أَعْطَيْتَهُ (أي للابن) سُلْطَانًا عَلَى كُلِّ جَسَدٍ لِيُعْطِيَ حَيَاةً أَبَدِيَّةً لِكُلِّ مَنْ أَعْطَيْتَهُ»، وأيضًا: «أَنَا أَظْهَرْتُ اسْمَكَ لِلنَاسِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي مِنَ الْعَالَمِ» (يو ١٧: ٢، ٦). ثم يلتمس من الآب قائلًا: «أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هؤُلَاءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا، لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي» (آية ٢٤)!

وتُعتبَر آية (أف ١: ٤) صدًى لتلك الآيات السابقة، لأنها تتكلَّم عن اختيار الآب لنا في المسيح قبل إنشاء العالم. وهكذا يتَّضح أنَّ الآب – بطريقةٍ لا يمكننا أن نسْبُر غورها، لأنها انعكاسٌ لحبِّه الفائق الوصف – أعطى لابنه قبل تأسيس الكون شعبًا خاصًّا لكي يفتديه، وهذا هو جسده أي الكنيسة: «أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضًا الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا» (أف ٥: ٢٥). وقد عبَّر الرسول بولس عن ذلك أيضًا بقوله: «الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، لِكَيْ يَفْدِيَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَيُطَهِّرَ لِنَفْسِهِ شَعْبًا خَاصًّا غَيُورًا فِي أَعْمَالٍ حَسَنَةٍ» (تي ٢: ١٤). وهكذا، فبسبب ما فعله المُخلِّص لأجل شعبه، صار اتِّحاده بخاصَّته مُتيسِّرًا.

كيف نتَّحد عمليًّا بالمسيح؟

لقد مُنِحَ لجميع أبناء الله أن يكون في متناول أيديهم أن يتَّحدوا بالربِّ يسوع ويصيروا أعضاءً في جسده، ويتمتَّعوا بهذه الوحدانية بلا انقطاع. وواضحٌ لكلِّ مَنْ اختبروا هذه النعمة «الَّذِينَ اسْتُنِيرُوا مَرَّةً، وَذَاقُوا الْمَوْهِبَةَ السَّمَاوِيَّةَ وَصَارُوا شُرَكَاءَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَذَاقُوا كَلِمَةَ اللهِ الصَّالِحَةَ وَقُوَّاتِ الدَّهْرِ الآتِي» (عب ٦: ٤، ٥)، والذين "وُهبوا المواعيد العُظمى والثمينة لكي يصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهيَّة" (انظر: ٢بط ١: ٤)؛ صار واضحًا أمامهم أنهم يستطيعون أن يتَّحدوا بالمسيح عمليًّا، وذلك بأن:

١ – يُسلِّموا حياتهم بالكامل للربِّ الذي أحبَّهم وفداهم.

٢ – يتناولوا من جسده ودمه الأقدسين بعد أن يتصالحوا معه بالتوبة الحارة.

٣ – يُمارسوا عشرته بالحديث القلبي معه في الصلاة الحارة وسماع صوته في الإنجيل.

٤ – يُردِّدوا اسمه الحلو بتلاوة صلاة يسوع المعروفة.

وبذلك يعيشون عضويَّة «الْكَنِيسَةِ الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ، مِلْءُ الَّذِي يَمْلأُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ» (أف١: ٢٣).

– ٥٦ –

«آدمُ ... أين أنتَ؟»

(تك ٣: ٩)

أول سؤال مِن الله للبَشَر

• «فيَدعو خرافه الخاصَّة بأسماءٍ ويُخرجُها» (يو ١٠: ٣).

تمهيد:

قديمًا، طَرَحَ الربُّ سؤاله الأوَّل للبَشر على أبينا آدم، الإنسان الأوَّل الذي جَبَله، ليَضَعه أمام مُفترق طُرُق ولحظة مُراجعةٍ وصَحو، لعلَّه يُدرك ما قد عمله، فيُسرِع ويَعترف بخطئه، ويُقدِّم تَوبةً ويَطلب الغفران والرحمة مِن الله؛ فينالها. أمَّا آدم فتَلَعثمَ وتَعثَّر، وغَرَق في الخوف مِن تَبِعات كَسرِه وصيَّة الله، وحينها اكتشف عُريَه، فبدأ في محاولة التماس الأعذار لنفسه، وتبرير سرِّ سقطته، وإلقاء اللَّوم في ذلك على شريكة حياته، مُهدِرًا كلَّ فُرص العودة ورجاء المغفرة بالاعتراف وطلب الصَّفح مِن الله المُتَحَنِّن. وهنا بدأت مسيرة الآلام والاغتراب عن وجه الله، له ولكلِّ البَشريَّة مِن بعده.

ولَعلَّ الله الرحوم ما يزال يَطرح اليوم نفس السؤال على كلِّ واحدٍ مِنَّا بقوله: "أين أنتَ؟"، مُتَرجِّيًا أنْ يُدرِك كلُّ إنسان أعماق هذا السؤال وأهدافه، وأنْ يكون هذا السؤال له، سببًا في مُراجعة حياته، بكلِّ أبعادها: سلوكيًّا، ومكانيًّا، وزمنيًّا، داخليًّا وخارجيًّا؛ حتى إنَّه حينما يُدرِك خطأ تَوَجُّهاته وسلوكياته، يَبتدئ في تعديل مساره، وتقويم طريقه، وتقديم توبة صادقة مقبولة من الله الرحوم، وعهدًا جديدًا للسَّير حسب وصاياه، لكي ينجو بحياته.

أين أنتَ؟ (مِن حيث المكان):

حينما يسألني الله: أين أنتَ؟ فذلك لا يَعني أنَّ الله غيرُ عالمٍ بمكاني، لكن الحقيقة، أنَّه يُريد أن يَسمع مني القول: "**إنِّي غريبٌ ونزيلٌ**" في هذه الأرض! فهو يريد أن يَطمئن بأنَّني ما زِلتُ أشعر بغربتي في هذا العالم، ويَرى مدى شوقي وحنيني لوطني السمائي، أرض موعدي التي أَتَطلَّع إليها، كَيما أستعيد ميراثي المفقود.

لقد تَغرَّب أبونا إبراهيم حينما ذهب إلى أرض مصر، ولكنَّ الله أعاده لأرض الموعد التي دعاه إليها. وهذا ما حدث أيضًا مع أبينا يعقوب وأولاده، ومع يوسف الذي أوصى من جهة عِظامه، حتى تُدفَن في أرض الموعد، مُتَطلِّعًا إلى مكان راحته الأخير. وها داود النبي يهتف بالروح: «غَرِيبٌ أَنَا فِي الأَرْضِ. لَا تُخْفِ عَنِّي وَصَايَاكَ» (مز ١١٩: ١٩).

فالله لا يريد لنفوسنا أن تَستَرخي وتشعر بالراحة والاطمئنان في أرض الغُربة والخطيَّة والبُعد عن الله، مثلما حدث مع لوط قديمًا، فاختار أرض الفرات الخِصبة – بحسب الظاهر – وجَلَبَ على نفسه تجارب مريرة؛ ولا مثل بني إسرائيل، الذين ارتاحوا وحَنُّوا إلى أرض مصر، حيث البصل والكُرَّات وقدور اللحم والحياة السَّهلة، وتَضجَّروا على موسى وهارون في البريَّة، فضَربهم الربُّ بالحيَّات المُحرِقة. لأنَّه حينما تمتلئ عيوننا وقلوبنا بالعالم ولذَّاته، وبكلِّ ما فيه، سينطفئ من قلوبنا وعقولنا حُلم الاشتياق والتَّطلُّع والجهاد للعودة إلى الأرض الجديدة والسماء الجديدة التي يسكن فيهما البرُّ، ونَعيش فيهما مع إلهنا، الذي دعانا لشركة النور معه في السماء.

الله، إذن، يريد أن يسمع جوابنا بأنَّنا هنا، نحيا حياةً مؤقَّتة، كغرباء ونُزلاء على الأرض، نسعى فيها كسُفراء عن المسيح، شاهدين لرحمته، ومنتظرين فداء أجسادنا لِنَحيا في السماء، أرض موعدنا الجديدة مع الربِّ فادينا.

أين أنتَ؟ (من حيث الزمان):

الله عندما يسألنا: أين أنتم؟ فذلك ليس بسبب عدم عِلمه، كما سبق القَول؛ بل لكي يُوقظنا من نَوم الغَفلة، حسب القول: «لِذلِكَ يَقُولُ: "اسْتَيْقِظْ أَيُّهَا النَّائِمُ وَقُمْ مِنَ الأَمْوَاتِ فَيُضِيءَ لَكَ الْمَسِيحُ"» (أف ٥: ١٤). فالزمان على الأرض محدودٌ، والأيام شرِّيرة. ونحن الآن في وقتٍ مقبول، وزمانٍ مبارك، ومُهيَّأ للتوبة والرجوع وقبول النعمة، وأيام حياتنا غير مضمونة أو دائمة.

فسؤال الربِّ هنا، هو **دعوةٌ للاستيقاظ والقيام من الكَسل**، ونَبذ الخطيَّة وكلِّ شئ رديء في حياتنا، لنَلحَق برَكب الحياة الأبديَّة، قبل فوات الأوان. وعلينا أن نَتَذكَّر دائمًا قوَّة الإرادة وشجاعة اتِّخاذ القرار، التي اتَّسَم بها سلوك الابن الضال، حينما قال: «أَقُومُ وَأَذْهَبُ إِلَى أَبِي وَأَقُولُ لَهُ: يَا أَبِي أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ» (لو ١٥: ١٨). وكذلك تحذير الكتاب المقدَّس لنا مِن تسويف العُمر باطلًا، إذ يقول الروح: «فَاذْكُرْ خَالِقَكَ فِي أَيَّامِ شَبَابِكَ، قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ أَيَّامُ الشَّرِّ، أَوْ تَجِيءَ السِّنُونَ إِذْ تَقُولُ: "لَيْسَ لِي فِيهَا سُرُورٌ"» (جا ١٢: ١). السؤال هنا، إذن، هو:

دعوة **عتاب وتنبيه وتَشجيع للاستيقاظ** مِن نوم الغَفلة، وإعادة الحسابات، استعدادًا ليوم الرحيل للوطن السمائي.

أين أنتَ؟ (مِن حيث هدف حياتي):

يقول بولس الرسول مُخاطبًا أهل كورنثوس: «أَنْتُمْ رِسَالَتُنَا، مَكْتُوبَةً فِي قُلُوبِنَا، مَعْرُوفَةً وَمَقْرُوءَةً مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ. ظَاهِرِينَ أَنَّكُمْ رِسَالَةُ الْمَسِيحِ» (٢كو ٣: ٢،٣)، لأنَّ الله خَلقنا لأعمالٍ صالحةٍ قد سَبق فأعدَّها لكي نسلك فيها (انظر: أف ٢: ١٠)، وذلك ليكون شهادةً ومجدًا لاسمه القدُّوس، ليَتمَّ القول: «لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (مت ٥: ١٦). كذلك نحن أيضًا، سَنربح نفوسنا ونُقدِّس حياتنا، بالتصاقنا بهذا الإله الحيِّ المُحِبِّ، فنتبارك به ونصير بَرَكة للآخرين.

فهل هذا بالحقِّ، هو غايتنا وهدف حياتنا، أنْ نُقدِّس اسمَ الله ونُمَجِّده؟ أم نحن نَسعى لمجد ذواتنا وتَحقيق مطامعنا الدُّنيَويَّة والأرضيَّة، وليس تمجيد الله؟ بل رُبَّما نكون نحن أحيانًا، سبب عثرة لآخرين بسبب حقارة ودناءة أهدافنا! وهل نحن في هذه الحياة، مُستعِدُّون لأن نُهان ونَحتمل مِن أجل اسم المسيح؟ أم نحن غيرُ قادرين على هذا الأمر، بسبب فساد أهدافنا وانحراف طموحاتنا وكبرياء نفوسنا؟ وهل نحن حقًّا نُحاسِب أنفسنا على كلِّ سلوكٍ وعمل، ونَحرِص على تَمجيد إلهنا في كلِّ فعلٍ وقَولٍ في حياتنا؛ أم العكس هو ما نَفعله؟

أخيرًا، هل نحن صادقون حينما نُجاوب الكاهن في القدَّاس الإلهي، ردًّا على سؤاله: "**أين هي قلوبكم؟**"، فنقول: "**هي عند الربِّ**"! فالسؤال الآن لنا عن هدف حياتنا، كيما تَصير إجابتنا شاهدًا لنا أمام الله، فنقول له كلمات الربِّ يسوع نفسه: «أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ» (يو ١٧: ٤).

أين أنتَ؟ (مِن حيث أفكاري):

يَدعونا الروح القدس بفم بولس الرسول لكي نُقدِّس أفكارنا، بقوله: «مُسْتَأْسِرِينَ كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ» (٢كو ١٠: ٥)، وفي موضعٍ آخر يقول: «وَسَلاَمُ اللهِ الَّذِي يَفُوقُ كُلَّ عَقْلٍ، يَحْفَظُ قُلُوبَكُمْ وَأَفْكَارَكُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (في ٤: ٧)، وذلك لأنَّه في أمورٍ كثيرة، وأوقاتٍ مُتنوِّعة، تُسيطِر ذواتنا وأفكارنا الخاصَّة، وتَطغى على إرادتنا وشخصيَّتنا وأفعالنا، وتغلبنا ميولنا وطِباعنا وغرائزنا الجسديَّة الضعيفة؛ لكي نَفعل ما لا نُريد، وتعوِّقُنا عن الرجوع

إلى الصلاة، والاتِّضاع وأَخْذ الإرشاد والمعونة مِن الله، والاستنارة بنور الإنجيل، قبل القيام بأيِّ عمل، لإزالة ظُلمات أفكارنا الأرضيَّة والذاتيَّة وغير الروحيَّة.

فالمُواظبة الدائمة والتَّمَسُّك بكلمات الإنجيل المقدَّس ونوره، مع الصلاة والانسكاب الدائم أمام الله، لطلب المشورة والمعرفة، وتقديس الفكر بالروح القدس؛ هذه كلُّها قادرة أنْ تُغيِّر وتُقدِّس أفكارنا وتَحفظها، وأن تَحرِق كافة الخيالات والمناظر والأحاديث المُظلِمة، التي تواجهنا في حياتنا اليوميَّة، وتُنَجِّينا وتَحفظنا غيرَ عاثرين في اسم الله القدُّوس، إذ تُقدِّس أفكارنا ليَصير لنا فكرُ المسيح.

أين أنتَ؟ (مِن حيث سلوكي وحياتي وعلاقاتي):

سؤال الربِّ لي اليوم هو: تَنبيهٌ لروحي ونفسي، هل أنا أحيا حسب الجَسد أم حَسب الروح؟ وهل اهتماماتي هي لحساب الجسد، وماذا يأكل وماذا يَلبس وجميع الأمور الماديَّة الأخرى؟ أم هي لحساب الروح؟ فالكتاب المقدَّس يُحذِّرنا بالقول: « لأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ مَوْتٌ، وَلكِنَّ اهْتِمَامَ الرُّوحِ هُوَ حَيَاةٌ وَسَلاَمٌ. لأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ عَدَاوَةٌ للهِ» (رو٨: ٦،٧). فالربُّ يُريد أنْ يَلفِت انتباهنا حتى نُميِّز: هل صلواتنا وطلباتنا تنصبُّ كلُّها على أمور هذه الحياة المؤقَّتة الفانية، أم على اهتمامات الروح، وطلب ما فَوق حيث المسيح جالس؟

تُرى، هل نَسلك نحن مثل المولودين من فَوق، كأولادٍ لله؟ أم سلوكنا كَمولودي الجَسد، الذين هم من التراب، والعائدون له بلا رجاء؟ وهل أنا مثل آدم الأول التُّرابي؟ أم وُلِدتُ مُجَدَّدًا على صورة آدم الثاني (المسيح)، وأحيا حسب صورة النوراني، أُمجِّد الله بأعمالي، وأستنير بضيائه حتى ألقاه في السماء؟

الربُّ يسألني: هل حياتي تَسير وِفق مشيئته، التي أوضَحها بولس الرسول بقوله بالروح: «وَإِنَّمَا أَقُولُ: اسْلُكُوا بِالرُّوحِ فَلَا تُكَمِّلُوا شَهْوَةَ الْجَسَدِ» (غل ٥: ١٦).

أخيرًا، يسألني إلهي عن مُعاشراتي وصداقاتي، وكيف هي؟ جيِّدة أم رديئة؟ مع أصدقاء الشرِّ والسوء، أم مع رجال الله الأُمناء؟ مع مَن يَجذبوني إلى الخطيَّة، أم مع أبناء النور والمُعاونين لي على خلاص نفسي؟ وهل أنا مُتَيَقِّظٌ لتحذير الرسول الذي قال: «لَا تَضِلُّوا: "فَإِنَّ الْمُعَاشَرَاتِ الرَّدِيَّةَ تُفْسِدُ الأَخْلَاقَ الْجَيِّدَةَ"» (١كو ١٥: ٣٣)؟

وفي الختام نقول: إنَّنا عندما نُدرِك أنَّنا أبناء الملك السمائي، فسوف لا نَتشبَّه بالأرضيِّين،

ولن ننزعج لنجاح الأشرار، لأنَّنا نَعلَم أنَّنا لسنا من هذا العالم، لذلك يُبغِضنا العالم. وسوف نتأكَّد من مراحم الله علينا كلَّ حين، وسَنُدرِك أنَّ سؤال الربِّ عنَّا، ليس لكي يُعاقبنا ويُخِيفنا – كما ظَنَّ آدم الأول – بل هو تَلميحٌ واضحٌ بأنَّ عينيه علينا، وطمأنةٌ لنا على عنايته بنا، ورعايته الدائمة ومحبَّته الكاملة لجِنسنا؛ كما إنَّه يكون تَنبيهًا وعتابًا لنا، أحيانًا، حتى نُصلِح طُرُقَنا ونتوب ونَرجع، فنَخلُص برحمته.

لذلك، حينما نسمع الصَّوت: أين أنتَ؟ أو أين هي قلوبكم؟ فلنُجاوب بجسارةٍ وقوَّة إيمان، وليس بخوفٍ أو خِشيةٍ أو ارتياب – مثل أبينا آدم – بل نهتف بكلِّ فرحٍ قائلين: قلوبنا وعقولنا وحياتنا، هي عند الربِّ إلهنا،آمين.

****

دير القدِّيس أنبا مقار

صَدَرَ حديثًا **من إعداد: الأب ليف جيلليه**

أبانا

مدخل إلى الإيمان والحياة المسيحيَّة

مع مُقدِّمة وتعليقات

الأب متى المسكين

الطبعة الثانية: ٢٠٢٥م

والكتاب ٧٦ صفحة (من القَطْع المتوسِّط)

****

دراسات كتابيَّة

"السَّالِكونَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ"

(رو ٨: ٤)

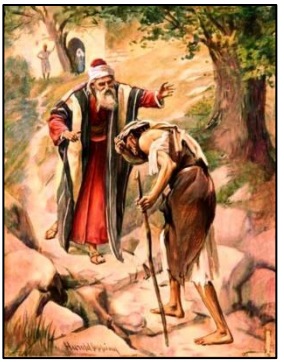

(٢)

يمكننا أن نُميِّز ثلاثة أنواع من الرسائل التي يُرسلها إلينا الروح القدس في هذه الحياة، ونُرتِّبها ترتيبًا تنازُليًّا من الأكثر إيجابية إلى الأقلِّ، وهي: (١) "اختر الحياة"؛ (٢) "احذر الموت"؛ (٣) "عُدْ إلى الحياة". وقد تكلَّمنا في العدد السابق (أكتوبر ٢٠٢٥ – ص ٣١) عن: (١) "اختر الحياة". وسنُكمِل في هذا العدد باقي الأنواع.

(٢) "احذر الموت!":

في حقيقة الأمر، إنَّ الروح القدس في الإنسان الجديد ينتظره مُبكِّرًا جدًّا قبل أن يصل إلى مِحَطَّةِ الخطية والشرِّ، فيُخاطبه وينصحه بل يستعطفه أن يلتصق بالخير ويكره الشَّرَّ (انظر: رو ١٢: ٩)، أن يحبَّ البِرَّ ويُبغضَ الإثم (انظر: مز ٤٤: ٨س؛ عب ١: ٩)، أن يختار الحياة دون الموت (انظر: تث ٣٠: ١٩)، وللإنسان بعد ذلك أن يُصغِي لهذا الصَّوت أو لا يُصغي. في هذا الامتحان بالضبط يُختبَر كلُّ إنسان: ماذا يختار؟ إن سَمِعَ لصوت الروح القدس؛ فهنيئًا له، فقد "سلك بحسب الروح"، واغتنى هكذا بكلِّ الخيرات التي يُقدِّمها الرَّسول في رو ٨: فلا شيءَ من الدينونة عليه (٨: ١)، وقد تحرَّر من ناموس الخطيَّة والموت (٨: ٢)، ونَعِمَ بالحياة والسلام (٨: ٦)، وكَرَّمَ سُكنى الرُّوح القدس فيه (٨: ٩). أمَّا إنْ تَصامَمَ عن هذا الصَّوت الذي يُجَلْجِلُ في أعماقه، وكأنَّه لا يسمعه، فاختار الموت دون الحياة، والظُّلمة بدلًا من النُّور؛ فإنَّه يسقط تحت الدينونة، ويُسَلْسِل نفسَه بنفسِه بقيود الخطية والموت، بل يصير في عداوة مع الله (٨: ٧). أرأيتم إنسانًا يأخذ بيديه سلاسلَ ويُقَيِّد نفسه بها ثم يَزُجُّ بنفسه في ظلمات سجنٍ مُوحِش؟ هذه صورة مُصَغَّرة لكلِّ مَن يتجاهل نُصْحَ الروح القدس، ويزدري بروح النِّعمة (انظر: عب ١٠: ٢٩).

هذا الصَّوت عينه تردَّدَت أصداؤه قديمًا في قلبَين: قلبٌ منهما سمع له، والقلب الآخَر تجاهله؛ فكانت النتيجة في الحالتَين على طَرَفَي نقيض، وتوارثَت أجيالٌ وراء أجيال الدُّروس والعِبَر منهما.

أوَّل القلبَين، هو قلب عبدٍ مُشترَى لا يزيد ثمنه على العشرين من الفضَّة، شابٌّ يُدعَى يوسُف، في عنفوان شبابه، عُرِضَت عليه الخطيَّة بكلِّ ملذَّاتها الكاذبة ومسرَّاتها العابرة. عُرِضَت مِمَّن؟ من سيِّدته! وليس مرَّة واحدة، بل مرَّاتٍ كثيرة، بل «يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ (ἡμέραν ἐξ ἡμέρας)» (تك ٣٩: ١٠س). إنَّها تجرِبة غاية في الصُّعوبة، توافرَت فيها كلُّ الظُّروف التي يمكن لأيِّ أحدٍ آخَر أن يتذرَّع بها لكي يستسلم: عبدٌ إزاء سيِّدته، بإلحاحٍ يوميٍّ، بل وأخيرًا «جَذَبَتْهُ مِنْ ثِيَابِهِ» (تك ٣٩: ١٢س).

طَوال فترة هذه التَّجرِبة كلِّها، كان الرُّوح القدس – الذي كان يعمل بلا شكٍّ في الإنسان قبل المسيح، وإنْ لم يكن يسكن فيه كما هو الحال في العهد الجديد – كان يهمس في قلب يوسُف الشَّاب أنْ "لا، لا، لا تُطِعْها، ولا تُطِعْ مُيولَكَ الرَّديئة!". نحن نُطلِق عليه "همسًا"، لأنَّه لا يُسمَع من الخارج، بل ولا يُسمع بأُذُن الإنسان نفسه، بل يُسمَع بالأُذُن الداخلية التي طالما تكلَّم عنها المسيح قائلًا قوله المشهور: «مَنْ لَهُ أُذُنَانِ للسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ» (مت ١٣: ٩)؛ لكن في حقيقة الأمر، هو ليس همسًا على الإطلاق، بل هو صوتٌ مُزلزل يقرع باب الضمير قرعًا شديدًا، ويوقِف الإنسان الجديد على أطراف أصابعه، ويَزيد خفقاتِ قلبه، وكأنَّه أمام خطرٍ داهمٍ يُهدِّد حياته. أَنْصَت الشَّاب لصوت الرُّوح القدس وأطاعه، واختار الحياة الأبديَّة، وصار مَثَلًا يُحتَذَي للسالكين حسب الروح.

أمَّا **القلب الثاني،** فهو ليس لعبدٍ مغلوبٍ على أمره، بل لملكٍ عظيم يأمر ويَنهَى، يُدعَى داود. بدأَت قصَّتُه بتهاونٍ بسيطٍ جدًّا، أنَّه لم يخرج «فِي وَقْتِ خُرُوجِ الْمُلُوكِ» (٢صم ١١: ١)، ويقينًا قد تكلَّم الروح القدس في قلبه، حاضًّا إيَّاه أن يخرج ولا يقبع في بيته بطَّالًا، لكنَّه لم يُعِر اهتمامًا لهذا الصَّوت. مَكَثَ الملك في بيته بطَّالًا، دون عملٍ، مُعطيًا بذلك للعدوِّ على طبقٍ من ذهبٍ أحدَ أهمِّ أسلحته البتَّارة[1]. وحدث في أحد الليالي أنْ أصابه أرقٌ، فبادر الرُّوحُ القدس مُسرعًا، وطَرَقَ

(١) يُحذِّرنا آباء البريَّة دائمًا من البِطالة: "إيَّاك والبِطالةَ لئلَّا تحزن ... لأنَّ البِطالة موتٌ للنَّفس" (بستان الرُّهبان، قول ١٨٥)؛ "البِطالة موتٌ وهلاك" (قول ٢٢٢)؛ "اهتمَّ بعمل يديك، ومارِسْه إنْ أمكنك نهارًا وليلًا ... لأنَّ شيطان الضَّجَر مُنكبٌّ على البِطالة، وهو في الشهواتِ كامنٌ" (قول ٢٨١)؛ "البِطالة مصدر رداءة الأعمال ... لأنّ اليهودَ لمَّا لم

بابَ قلبه، وكأنه يقول له: "هذه فرصة عظيمة للصلاة أو لعزف العود وترتيل المزامير التي تحبُّها"، لكنَّ الملك لم يكترث لصوت الروح هذه المرَّة أيضًا، وصَعِدَ وتَمَشَّى على سطح البيت، حيث كان العدوُّ قد أعَدَّ له مِصيَدةً مُحكَمة. وقع الملك العظيم في الفَخِّ واصْطيدَ في الأحبولة. لكنَّ الروح القدس لم يتركْه رغم هذا، بل استمرَّ في الصراخ في داخله لكي لا يُصطادَ بشَرَكٍ آخر، إلَّا أنَّ العدوَّ كان قد أَسكرَ الملك من خمرِ الشهوة، وسَدَّ أُذُنيه الدَّاخلتين، فما عاد يسمع لصوت الرُّوح القدس، وانتقل من خطيَّةٍ لأخرى. هنا ينطبق تمامًا حديث القدِّيس استفانوس عن "مقاومة الروح القدس" (أع ٧: ٥١)، وحديث بولس الرَّسول عن "إحزانه" (أف ٤: ٣٠)، فلقد حَزِنَ الروح القدس حزنًا شديدًا جدًّا في كلِّ خطوة يخطوها الملك العظيم نحو الخطيَّة. لم يستطع داود أثناء هذه التجربة أن يسلك حسب الروح، بل لقد سلك للأسف حسب الجسد.

لكنْ، هل انتهى أمرُه هذه النهاية الحزينة؟ هل انطفأ فيه الروح القدس؟ كلَّا البتَّة، لم ينطفئ الرُّوح القدس، وها هو مزمعٌ أن يصنع عجيبةً معه، من شأنها أن تجعل داود رمزًا، لا للسقوط المُهين، بل للعودة المجيدة. كيف هذا؟ بأنْ صرخ الرُّوحُ القدس في أعماقه: "عُد إلى الحياة!"، فسمع داودُ هذه المرَّة، ورَجَع إلى الحياة.

(٣) "عُدْ إلى الحياة!":

هذا هو نداء التَّوبة والرُّجوع. هذا هو باب الرَّجاء لنا نحن الخطاة المساكين. حتَّى ولو أخفقنا في إطاعة صوت الروح الذي يدعونا أن نختار الحياة، بل وحتَّى إن صلَّبنا رقابنا وقاومنا الرُّوح واخترنا بإرادتنا الموت دون الحياة. فالرُّوح القدس لا ييأس منَّا ولا يُفارقنا ولا يتركنا وشأننا، بل يأتي إلينا ونحن في الحضيض، ونحن في قعر الخطية، ويُنادينا بصوته الحُلو: "عودوا إلى الحياة!". والعجيب والمُشجِّع لنا جدًّا أنَّنا إذا اتَّبعناه، فنحن نعود ونسلك حسب الروح. التوبة هي بلا أدنى شكٍّ "سلوكٌ حَسَبَ الرُّوح". لماذا؟ لأنَّها استجابة لنداء الرُّوح القدس في القلب، وهذا هو أبسط وأدقُّ تعريف للسلوك بحسب الرُّوح. بل إنَّ هذا بالضبط هو ما رأيناه في حالة داود النبيّ والملك العظيم، فالقصَّة الحزينة التي قرأناها سابقًا ليست سوى الفصل الأوَّل

يكن لهم في البريَّةِ عملٌ يشتغلون به، خرجوا من البِطالةِ إلى عبادة الأوثان" (قول ٢٨٢)؛ "البطَّال غيرُ نافعٍ في أيِّ أمر، وهو مُهَيَّأٌ للغضب، وغيرُ موافقٍ للسكوتِ، وعبدٌ للضجر ومنغمسٌ في الشهوات، كما إنه مُتهجِّمٌ في أقوالهِ فاعلٌ الرذائلَ الأخرى كلَّها" (قول ٣٠٢)؛ "الشَّهوة كائنةٌ في البِطالة" (قول ٣٠٤)؛ "إنْ كان الإنسانُ بطَّالًا، فإنَّه يتفرَّغ لقبولِ الأفكار التي تأتيه، وإذا كان له عملٌ يعمله، فلا يتفرَّغ لقبولها" (قول ٧٩٨)؛ "إنَّ الراحةَ والبِطالةَ هلاكٌ للنفسِ، وهما يؤذيان أكثرَ من الشياطين" (قول ١١٠٢).

الحزين من ملحمته العظيمة، والتي فصلها الثاني – وهو توبته ورجوعه – هو الذي بَقِيَ ودام مصدرًا للتَّشجيع والرجاء والقيامة من الموت.

إذا كانت رسالة الروح الأولى ("اختر الحياة!") هي الوجه الأكثر إيجابيَّةً وسموًّا من عمله، حيث يدعونا لرفع قلوبنا وأفكارنا وتوثيق شَرِكتنا مع الآب والابن؛ وإذا كانت رسالته الثانية ("احذر الموت!") هي ضمان وقوفِهِ إلى جانبنا في حربنا وجهادنا، حيث يُساعدنا على تَجَنُّب الأشراك وتفادي الفخاخ التي ينصبها لنا أعداؤنا؛ فإنَّ رسالته الثالثة ("عُدْ إلى الحياة!") هي علامة حبِّه لنا حبًّا عجيبًا لا يستنكف معه من النُّزول إلى أيِّ دَرَكٍ هبطنا إليه، وذلك لكي يرفعنا مباشرةً من حضيض الخطيَّة وهوانها وعارها إلى شَرِكَتِه ونعمة الابن الوحيد وأحضان الله الآب.

هكذا نراه تارةً وقد اخترق الأجواء الشاسعة التي تفصل بين بيت الآب المجيد وبين حظيرةٍ قذرةٍ للخنازير، وراح يهمس في أُذُن ذلك الابن الأصغر الشَّريد قائلًا: "عُد إلى الحياة!". فوجدَت الكلماتُ أُذُنًا صاغيةً، ولم يرفس الابن هذه المناخس، فهَبَّ واقفًا ونَهَضَ من سقطته، وقال جملته الشهيرة التي ألهمَت ولا تزال تُلهم ربوات وربوات من الخطاة على مدى الأزمان: «أَقُومُ وَأَذْهَبُ إِلَى أَبِي» (لو ١٥: ١٨).

ونراه تارةً أخرى، لا يَأْنَف من أن يدخل إلى بيتِ امرأةٍ مُتمرِّسةٍ في الإثم، قد ذاع صِيتُها الرديء في المدينة، وقد استشرَت الخطيةُ في هذا البيت ومَلَأَته برائحتها النتنة، ثم يقترب منها ويطرق باب قلبها بطرقاته الوديعة والرهيبة في آنٍ واحدٍ، وهو يُناديها أنْ "عودي إلى الحياة!"، فإذا بكلماتِهِ تسري في أعماقها سَرَيانَ الهواء في صدر المُدْنَف وقد تَلَقَّى قُبلة الحياة، فتُحسُّ بحياةٍ جديدةٍ تولد فيها، أو بالأحرى تُحِسُّ بأنَّها هي التي تولد ميلادًا جديدًا. وبينما هي تفكِّر ماذا عساها أن تفعل! يُبادر الرُّوح القدس ويُلهمها بعملٍ عجيبٍ لم يسبق له مثيل وكأنه يهمس في قلبها: "اخرجي من هذا المكان الآن، واشتري قارورةَ طِيبٍ، واذهبي إلى يسوع الناصريِّ، وادهُني قدمَيه بهذا الطِّيب، وقبِّليهما، فتنالي الحياة!". ولوقتها قامت وعَمِلت كلَّ ما أملاه عليها الرُّوح، فخَلَصَت وغُفِرَت لها خطاياها، وبدأت حياةً جديدة (انظر: لو ٧: ٣٦–٥٠).

هذه هي الأخبار السَّارَّة لنا، فأيًّا كانت فظاعة مستنقع الخطية الذي غُصنا فيه، وأيًّا كان سواد الظُّلمة التي تغشانا، فالرُّوح القدس لا يزدرينا ولا يحتقرنا، بل يأتينا حيث نحن، ويقرع أبواب قلوبنا البائسة. فقط لننصت له ونُطِعْه ونتبعْه، وسنرى كيف سيُصعِدنا من جُبِّ الشَّقاءِ ومن

طين الحَمْأةِ، بل ويضع في أفواهنا نشيدًا جديدًا وتسبيحةً لإلهنا (انظر: مز ٣٩: ٣، ٤س).

خاتمة:

وهكذا، في ختام حديثنا عن "السُّلوك حسب الرُّوح"، يمكننا أن نرى بوضوح تكميلًا واضحًا لا غِنَى عنه يُتَوِّج تعليمَ بولس الرسول في رسالة رومية. فحجر المِحَكِّ لصِدْق «**إِطَاعَةِ** الإِيمَانِ» التي يدعو الرَّسول إليها في بدء الرسالة (١: ٥)، هو "**إطاعة** الروح القدس"؛ والوجه الآخر من العُمْلة لـ «**نَامُوسِ** الإِيمَانِ» الذي ينبغي الافتخار به (٣: ٢٧)، هو «**نَامُوسُ** رُوحِ الْحَيَاةِ» (٨: ٢). فالإيمانُ الحقيقيُّ والسُّلوكُ بالرُّوح صِنوان لا يفترقان. لماذا؟ لأنَّ الإيمان والمعمودية ليسوع المسيح تَعنيان الشَّرِكَة في موته وقيامته، ويَتبع هذا بالضَّرورة سُلوكٌ مُستَمَدٌّ من المسيح القائم نفسِهِ، وإلَّا فالإيمان ليس إيمانًا: «أَمْ تَجْهَلُونَ أَنَّنَا كُلَّ مَنِ اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدْنَا لِمَوْتِهِ؟ فَدُفِنَّا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ، حَتَّى كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ، بِمَجْدِ الآبِ، هكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضًا فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ» (رو ٦: ٣، ٤).

أمَّا كيف يتصوَّر المسيح القائم من بين الأموات فينا، فهذا يضطلع به الرُّوح القدس، ولهذا دُعي السُّلوك المسيحيّ سُلوكًا «حَسَبَ الرُّوح (κατὰ πνεῦμα)» (٨: ٤). فالرُّوح القدس يسكن في الإنسان المسيحيّ ولا يُفارقه في جميع ظروف حياته، وعمله الأساسيُّ هو أن "ينقل لنا كلَّ ما للمسيح ... (بل) ينقلنا عَبْرَ نفسِهِ إلى المسيح، وينقل المسيح إلينا عبْرَ نفسِهِ أيضًا، فيَحُلُّ أو يصير المسيحُ في قلبنا بالروح القدس، ونصير نحن في قلب المسيح بالروح القدس أيضًا"[٢]. إذن، ثبات المسيح فينا وثباتنا نحن فيه، هو مُعَلَّقٌ بسُلوكنا حسب الرُّوح. وكيف نسلك حسب الرُّوح؟ بأن نطيع صوت الرُّوح القدس داخلنا.

أمَّا الرُّوح القدس، فهو – بشهادة الضمير – لا يتوقَّف عن الحديث إلينا في كلِّ وقتٍ وأيًّا كانت حالتنا. ففي وقت السِّعة والهدوء، يَحُثُّنا على الشُّكر والتسبيح والترنيم؛ وفي وقت التَّجرِبة والحرب، يُذَكِّرنا بوصايا الإنجيل ويتوسَّل إلينا أن لا نطيع شهواتنا؛ بل وفي وقت سقوطنا وتمرُّغِنا في أوحال الإثم، لا يتخلَّى عنَّا ولا يشمئزُّ منَّا، بل يُشَجِّعُنا ويفتح لنا باب الرَّجاء ويمدُّ إلينا يده لينتشلنا. فبواسطة الروح القدس، وَهَبَ الله لنا «كُلَّ مَا هُوَ لِلْحَيَاةِ وَالتَّقْوَى» (٢بط ١: ٣). فقط لِنُمِلْ آذانَنا ولنسمع «مَا يَقُولُهُ الرُّوحُ لِلْكَنَائِسِ» (رؤ ٢: ٧).

(٢) الأب متّى المسكين، "الرُّوح القدس الربُّ المحيي" – ج ٢، ١٩٨١، ص٥١٧، ٥٢١.

من التراث الكنسي

معرفة الله

كأسمى هدف وأعظم فرح للحياة

من خلال طاعة إرادته[١]

(٢٣)

٧ – الطَّاعة (تابع):

يكتب الشيخ سلوان Elder Silouan قائلًا:

[نحن نَدْرُس كما نرغب، لكنَّنا سوف لن نأتي لنعرف الربَّ لو لم نحيا حسب وصاياه، لأن معرفة الرَّبِّ لا تتمُّ من خلال التَّعلُّم، لكن بالروح القدس. لقد توصَّل العديد مِن الفلاسفة والباحثين إلى الاعتقاد بوجود الله، لكنهم لم يصلوا إلى معرفته. أنْ تؤمن بالله فهذا شيءٌ، وأنْ تعرف الله فهذا شيءٌ آخر. فالذين في السماء والذين على الأرض يعرفون الرَّبَّ بالرُّوح القُدُس، وليس مِن خلال المعرفة العادية].

يكتب الأب بطرس الدمشقي Fr. Peter of Damaskos في الفيلوكاليا ويقول:

"دَع الإنسان يفتخر أنَّه يعرف الربَّ معرفةً كاملة مِن أعماله، ولأنه يتشبَّه به على قدر الإمكان، مِن خلال حفظ وصاياه الإلهيَّة، لأنَّه مِن خلالها يعرف الله..."،

الرَّبُّ يسوع نفسه يقول إنَّ العقيدة الصحيحة، والمعرفة والإيمان بالأشياء الصحيحة عن الله، تأتي مِن معرفة مشيئته: «إِنْ شَاءَ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ مَشِيئَتَهُ يَعْرِفُ التَّعْلِيمَ، هَلْ هُوَ مِنَ اللهِ، أَمْ أَتَكَلَّمُ أَنَا مِنْ نَفْسِي» (يو ٧: ١٧).

القدِّيس سلوان الأثوسي St. Silouan of Mt. Athos يقول هذا بخصوص الطاعة:

[النموذج الأوَّلي للطاعة هو المسيح نفسه الذي أطاع الآب السماوي تمامًا وإلى النهاية. الشخص المُطيع يرى الشَّرَّ لكن الشَّر لا يلمس روحه، لأنَّ نعمة الروح القدس بالتَّأكيد تكون معه. الروح القدس يُحبُّ كثيرًا جدًّا روح الشخص المُطيع؛ ولهذا السبب، فلن يمرَّ وقت طويل قبل أن تعرف مثل هذه النفس الربَّ].

---

(١) بتصرُّف عن كتاب بعنوان:
Anthony M. Coniaris, *Knowing God, Life's Highest Purpose & Joy*.

في مناقشة موضوع الطاعة لله، نحتاج أنْ نتذكَّر العمل العظيم للعذراء مريم في قولها للملاك: «لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ». إنَّ فعل الطاعة الذي قامت به العذراء مريم يتناقض بشكلٍ مباشر مع فِعل عصيان حواء. ما فعلته حوَّاء قد جَلَب الموت، بينما ما فعلته العذراء مريم فقد جَلَبَ الخلاص والمعرفة لله الواحد الحقيقي في المسيح يسوع. يقول بعض آباء الكنيسة إنَّ الطاعة أعظم مِن الصوم وأعظم مِن الصلاة نفسها.

٨ – ليست مسألة دراسة علميَّة:

إنَّ معرفة الله ليست مسألة دراسة علميَّة، بقدر ما هي مسألة طاعة. إنَّ موضوع مزج إرادتنا مع إرادة الله يضغط علينا في كلِّ لحظة؛ فيُقابلنا في الأسرار، وفي الإنجيل، وفي الكنيسة، وفي القدِّيسين، وفي الليتورجيَّا، وفي الفقراء، ويدعونا للمُحاسبة.

معرفة الحقيقة لا تعني ملء دماغك بالمعرفة، فالكلمة العبريَّة لكلمة "يعرف to know" لا تعني تجميع معلومات، بل تعني معرفة اختباريَّة حميميَّة. عندما عرف آدمُ حواءَ، فهو لم يعرف فقط اسمها وعنوانها؛ بل اختبرها. مكتوب: «ذُوقُوا وَانْظُرُوا مَا أَطْيَبَ الرَّبَّ!» (مز ٣٤: ٨). معرفة الله هي تذوُّقه واختباره مِن خلال الإيمان، والحب، والطاعة.

لهذا السبب لم يكن للَّاهوت معنى في الكنيسة الأولى إلَّا في سياق الخبرة الصوفيَّة. أكَّد عالِم لاهوت الكنيسة الروسيَّة الأرثوذكسيَّة فلاديمير لوسكي هذا عندما كتب:

> "التَّقليد الشرقي لم يصنع أبدًا تمييزًا واضحًا بين التصوُّف واللاهوت؛ بين الخبرة الشخصيَّة للأسرار الإلهيَّة والعقيدة الثابتة في الكنيسة ... بعيدًا عن أنْ تكون مُتعارضة بشكلٍ مُتبادَل، فاللاهوت والصوفيَّة يدعمان ويكمِّلان كلٌّ واحدٍ الآخر، والواحد مستحيل بدون الآخر. إذا كانت التجربة الصوفيَّة عملًا شخصيًّا خارج محتوى الإيمان المُشترك، فاللاهوت هو تعبيرٌ لتحقيق النفع للجميع، ذاك الذي يمكن أنْ يختبره كل شخص ... لذلك لا يوجد تصوُّف مسيحي بدون لاهوت؛ لكن بالأكثر، لا يوجد لاهوت بدون تصوُّف. التصوُّف هو ... كمال وتاج كلِّ اللاهوت، كلاهوت بامتياز"[٢].

(2) Vladimir Lossky. *The Mystical Theology of the Eastern Church.* James Clarke and Co. Ltd. London. 1968.

لهذا السبب يُحذِّر الأب كاليستوس وير مِن خطر انفصال الصوفيَّة عن اللاهوت، الأمر الذي يخلق: "التعليم المُجدب والقاحل والأكاديمي بالمعنى السَّيئ للكلمة". مثل هذه التجربة السرِّيَّة للَّاهوت تأتي مِن المُشاركة الشخصيَّة في الحياة الليتورجيَّة للكنيسة. وفي كلمات كريستوس ينَّارس Christos Yannaras: "اللاهوت (معرفة الله) ليس تلمذة فكريَّة، لكن مشاركة اختباريَّة، أو شَركة".

٩ – الإيمان يبدأ بالطَّاعة:

قال الفيلسوف الدانماركي سورين كيركجارد Soren Kierkegaard:

"مُعظم الناس لا يؤمنون، لأنهم لا يُريدون أن يطيعوا".

الإيمان يبدأ بالطاعة، ولا يؤمن إلَّا مَن أطاع. ما يحتاجه المُلحد ليست أدلَّة كثيرة لوجود الله، ولكن يحتاج استجوابًا مختصرًا لحياته: "أين أنا حيث لا أطيع الله"؟ نقص الطاعة هو الذي يقود الشخص أنْ لا يؤمن بالله.

قال القدِّيس مار إسحق السرياني:

[لا شيء يمكنه أنْ يجذب قلبي قريبًا جدًّا إلى الله مثل الأفعال الصالحة].

طبعًا، الأفعال الصالحة هي نتيجة الطاعة ونعمة الله.

يرى الأرشمندريت جوستن بوبوفيتش أنَّه يوجد اتصالٌ مباشر بين معرفة المسيح وحفظ الوصايا، فيكتب ويقول:

"حقًّا إنَّ معرفة المسيح تنمو وتزداد بطاعة الوصايا. في كلِّ مرَّة يتمُّ فيها تنفيذ وصيته، تزيد معرفة الإنسان بالمسيح؛ والذين يحفظون وصاياه بشكلٍ أكمل، هم الذين يعرفون المسيح بشكلٍ أكمل، هؤلاء هم القدِّيسون. والذي لا يتقدَّم ولا يحفظ وصاياه لا يعرف المسيح. الطريق محدَّدٌ واختباريٌّ تمامًا وعمليٌّ ويمكن تجربته. كلُّ واحد يمكنه أنْ يعرفه، وببساطة مِن خلال اختباره والعمل به"[٣].

«وَبِهذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا قَدْ عَرَفْنَاهُ إِنْ حَفِظْنَا وَصَايَاهُ» (١يو ٢: ٣).

قال الرَّبُّ يسوع (ما معناه): "لو فعلتَ مشيئتي، فستعرف مبادئي وحقيقتي". لم يقل

(3) Justin Popovich. *Orthodox Faith and Life in Christ.* IBM Publishing. Belmont, MA. 2005.

أبدًا: "لو عرفتَ مبادئي، سوف تفعل مشيئتي"، فالطاعة هي طريق معرفة الله.

تقول دي مارجريت بينوك Dee Margaret Pennock:

"الطاعة دائما تحتل مرتبة فوق المعرفة في الأهمية، لأنها هي التي تؤدِّي إلى المعرفة. يقول القدِّيسون إنَّ الله مختبئ تحت وصاياه، وعندما تطيع الوصايا، فأنت تكتشفه هناك. المعرفة التي تُستخدم بطاعة، تجعل الشخص حكيمًا؛ والتي تُستخدم بعصيان، هي مدمِّرة كما كانت لآدم وحواء"[٤].

يقول القدِّيس باسيليوس:

[هذه هي معرفة الله: حِفْظ وصاياه].

الأب جون كريسافجس John Chryssavgis يركِّز القول على معرفة معنى الطاعة كشرطٍ أساسي للعقيدة، فيشرح قائلًا:

"هذه العلاقة بين الأفعال والأقوال لا تعنى بأيَّة حال مِن الأحوال أنَّ الإنسان الخاطئ لا يمكنه أنْ يقرأ اللاهوت أو يحيا روحيًّا؛ ولكن، في المُمارسة الأرثوذكسيَّة، تعني أنَّ الإنسان الذي لا يعيش بحسب المسيح، ولكنه يُبرِّر نفسه بأنه يفعل هكذا، فهو سوف يخلق – في الواقع – لاهوتًا وفقًا لمقياسه الخاص وذوقه الخاص، ولكنَّه ليس بالضرورة أن يكون هذا اللاهوت أرثوذكسيًّا.

المعرفة قيلت إنَّها تُعْطَى من الله، لذلك فالشخص الذي يعرف نفسه هو غير معصوم، فمثل هذه الإدانة تكون واضحة. وفي كتابات القرن السابع الميلادي لإسحق السرياني نجد: "طوباك عندما تعرف ضعفك، لأن هذه المعرفة تصبح لك أساس ومصدر كلِّ الأشياء الجيِّدة""[٥].

وهنا لا بدَّ أنْ نُذكِّر القارئ بأنَّ روحانية التشبُّه بالمسيح ومُحاكاته، والتي نجدها غالبًا في الغرب، غريبة عن الروحانية الشرقية. إنَّ التشبُّه بالمسيح يمكن تعريفه في الشرق – على نحوٍ

(4) Dee Margaret Pennock, *The Adam Complex: The Passions of Adam and Eve*. Light and Life Publ. Co. Minneapolis, MN. 2004.

(5) Fr. John Chryssavgis.*Light Through Darkness: The Orthodox Tradition.* Orbis Books. Maryknoll, NY 2004.

أفضل – بأنَّه الحياة في المسيح. فبمجرد أنْ نعيش في المسيح ننال روح الله، والذي يُمكِّننا مِن المُشاركة في حياة الثالوث القدوس ذاتها، والتي أسمى ثمارها هي "المحبة". وعلى هذا، فإنَّ الطاعة ليست "تشبيهًا" خارجيًّا، بل هي حياة داخلية للثالوث القدوس يمنحها الروح القدس.

هذا القسم مِن الكتاب الذي يتحدَّث عن معرفة الله من خلال طاعة إرادته يمكن تلخيصه على أفضل نحو ممَّا كتبه الأب توماس هوبكو Fr. Thomas Hopko عندما كَتَبَ يقول:

"«إِنْ عَلِمْتُمْ هذَا فَطُوبَاكُمْ إِنْ عَمِلْتُمُوهُ» (يو ١٣: ١٧). إنَّنا نحن المسيحيُّون الأرثوذكس مستعدُّون دومًا للإعلان عن أنَّنا: "نعلم هذه الأمور"؛ ولكن السؤال يظل مطروحًا أمامنا دومًا، وهو: إذا ما كنَّا مستعدِّين بنفس القدر للإجابة عن كيفية: "عملنا"؛ وسوف يأتي اليوم الذي يتعيَّن علينا فيه أنْ نُجيب على هذا السؤال"[٦].

(6) Thomas Hopko. *Christian Faith and Same Sex Attraction*. Conciliar Press. Ben Lomond, CA 2006.

****

معجزة التجسُّد

للقدِّيس أثناسيوس الرسولي

[إني أرى سرًّا عجيبًا، أرى شمس البرِّ عِوَضًا عن الشمس الطبيعيَّة،
أراه يحلُّ في العذراء دون أن يصير محدودًا!
ولا تسألني: كيف؟
لأن مهما أراد الله يخضع له نظام الطبيعة،
فلأنه أراد (أن يتجسَّد) استطاع ذلك، وجاء وخلَّصنا.
أسرعوا معًا وتعالوا جميعًا:
فإنَّ الله الكائن والأزلي الكيان قد صار اليوم ما لم يكن:
فهو الكائن إلهًا قد صار إنسانًا دون أن يخرج من كونه إلهًا...
القديم الأيام قد صار طفلًا!
الجالس على عرش العُلا، صار موضوعًا في مذود!
غير المُبتدئ وغير الجسدي، قمَّطته الأيادي البشريَّة؛
الذي يحلُّ رباطات الخطايا، قد صار ملفوفًا بخِرَقٍ، لأنه أراد ذلك]!

(عظة عن الميلاد)

****

بحث تاريخي

أهم أديرة وكنائس القدِّيس مار جرجس القبطيَّة الأثريَّة

(١)

الأستاذة الدكتورة/ شيرين صادق الجندي
أستاذ الإرشاد السياحي والآثار والفنون القبطيَّة
بكلية الآداب – جامعة عين شمس

يُعتَبَر مار جرجس **(الشكل رقم ١)** من أهم وأشهر القدِّيسين والشهداء في الكنيسة القبطيَّة في مصر والعالم أجمع.

كما إنَّ هناك قدِّيسين وشهداء آخرين يُعرَفون باسم جرجس أو جاورجيوس. كما يُعدُّ مار جرجس من أكثر القدِّيسين في الكنيسة القبطيَّة الذين شُيِّدت لهم الأديرة والكنائس باختلاف أحجامها وأشكالها وطُرُزها المعماريَّة في غالبية الأقطار المصريَّة.

وفيما يلي أهم الأديرة والكنائس التي كُرِّست على اسم هذا الشهيد الهام في مصر.

(الشكل رقم ١) أيقونة القدِّيس مار جرجس على ظهر جواده. نقلًا عن:
https://egymonuments.gov.eg/ar/collections/icon-of-saint-george-21/

١ – كنيسة القدِّيس مار جرجس بسندبيس:

بُنِيَت هذه الكنيسة التي أشار إليها المؤرِّخ أبو المكارم في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي، في منتصف قرية سندبيس **(الشكل رقم ٢).** وهي تبعد عن غرب سنديون بحوالي أربعة كيلومترات[١]. ويوجد مدخل الكنيسة في الناحية الغربية منها وهو عبارة عن سقيفة ترتكز على عمودين. كما إنَّ للكنيسة مدخلًا آخر شماليًّا وبسقيفة أيضًا محمولة على ثلاثة أعمدة يعلوها خورس مُخصَّص للسيِّدات. وفي وسط الكنيسة، توجد ستة أعمدة ترتكز عليها قبَّة كبيرة بها مثلثات كرويَّة في الأركان، ويُحيط بها أربعة قبوات. كما توجد قبوات أخرى مُتقاطعة ومُدبَّبة في أركان صحن هذه الكنيسة. في حين يوجد سقف مسطَّح أعلى الجزء الشرقي من الكنيسة. ويعلو حامل الأيقونات الرئيسي صفَّان من الأيقونات النفيسة التي تتنوَّع موضوعاتها الزُّخرفية.

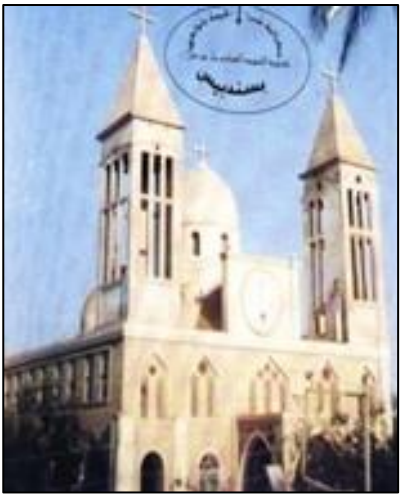

(الشكل رقم ٢) منظر عام لكنيسة القدِّيس مار جرجس بسندبيس. نقلًا عن: الموقع الرسمي لنيافة الحبر الجليل الأنبا مرقس - مطرانية شبرا.

٢ – كنيسة القدِّيس مار جرجس بمحلة مرحوم:

شُيِّدَت هذه الكنيسة الحديثة على أطلال الكنيسة القديمة على بُعْد حوالي ستة كيلومترات في الناحية الشمالية الغربية من طنطا، وفي وسط قرية محلة مرحوم[٢]. وعُثِر بداخلها على بقايا حجاب خشبي أثري مُعشَّق، بالإضافة إلى بعض المخطوطات والأيقونات النادرة.

٣ – كنيسة القدِّيس مار جرجس بحصَّة برما:

بُنِيَت هذه الكنيسة أيضًا في الناحية الشمالية الغربية من طنطا في منتصف قرية حصة برما[٣]. ويحتوي مبنى كنيسة القدِّيس مار جرجس بحصة برما على كنيستين: ترجع الأولى منهما إلى القرن التاسع عشر الميلادي ويتقدَّمها أربعة أعمدة، كما إنَّ بداخلها صحنًا مربع الشكل به أربعة أعمدة

---

(١) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٥٤–٥٥.
(٢) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٥٧.
(٣) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٥٨.

تعلوها قباب بيضاوية الشكل، وهياكل الكنيسة الثلاثة تُغطّيها قباب. أمَّا الكنيسة الثانية وهي الأصغر حجمًا، فهي توجد في شمال شرق الكنيسة الأولى، وبها ثلاثة هياكل وعمود في الصحن. وفي القرن الثالث عشر الميلادي، أشار أبو المكارم إلى وجود ثلاث بِيَع بداخلها كُرِّسَت للسيِّدة العذراء ورئيس الملائكة ميخائيل والقدِّيس مار جرجس.

٤ – كنيسة القدِّيس مار جرجس بميت غمر:

في منتصف بلدة ميت غمر، بُنِيَت كنيسة القدِّيس مار جرجس الحديثة بجوار المبنى الأثري القديم(٤). ومدخل الكنيسة في الناحية الشمالية. وتنخفض أرضيتها بمقدار ثلاثة أمتار عن أرضية فناء الكنيسة التي يتشابه سقفها مع مثيله في كلٍّ من كنيستَي صهرجت وسنباط. ويوجد قبو رئيسي أعلى الجزء الأوسط من صحن هذه الكنيسة الذي يوجد به أيضًا حوض اللَّقَّان. ويُحيط بهذا القبو أربع قباب أقل ارتفاعًا منه. ويتميَّز الحائط الغربي للكنيسة بوجود مشربية جميلة. ويتكوَّن حامل الأيقونات الرئيسي في هذه الكنيسة من حشوات خشبية مُعشَّقة ومُزيَّنة بزخارف هندسيَّة، لا سيَّما الأطباق النجميَّة. واكتُشِف في هذه الكنيسة عددٌ لا بأس به من الأيقونات إلى جانب تاج عمود أثري وجرس قديم. وسبق وأن أكَّدَ المؤرِّخ أبو المكارم في القرن الثالث عشر الميلادي على أنه كان يوجد في ميت غمر ثلاث كنائس خُصِّصت أيضًا لكلٍّ من السيِّدة العذراء ورئيس الملائكة ميخائيل والقدِّيس مار جرجس.

٥ – كنيسة القدِّيس مار جرجس بصهرجت الكبرى:

ترجع الكنيسة الحاليَّة إلى أواخر القرن الثامن عشر الميلادي أو أوائل القرن التاسع عشر الميلادي(٥). وهي مُشيَّدة على بُعْد حوالي عشرة كيلومترات جنوب بلدة ميت غمر في وسط قرية صهرجت الكبرى على طريق بنها – ميت غمر. وتتشابه طُرُزها المعمارية مع مثيلاتها في كلٍّ من كنيسة ميت غمر وسنباط، لا سيَّما فيما يتعلَّق بوجود القباب التي تُغطِّي الصحن الرئيسي والهياكل الثلاثة الشرقية. ومدخل الكنيسة في الركن الشمالي الغربي منها. وعُثِر فيها على أيقونات أثريَّة من القرنين الثامن عشر الميلادي والتاسع عشر الميلادي. وعلى هذه الأيقونات، تظهر توقيعات كلٍّ من يوحنا الناسخ وأنسطاسي الرومي، وكانا من أمهر وأشهر فناني الأيقونات في مصر. كما تظهر الزخارف الهندسيَّة على حامل أيقونات الكنيسة التي أشار إليها أبو المكارم في القرن الثالث عشر الميلادي.

---

(٤) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٦١ – ٦٢.
(٥) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٦٢.

٦ – كنيسة القدِّيس مار جرجس ببلتان:

توجد هذه الكنيسة على بُعْد خمسة كيلومترات تقريبًا من طوخ[٦] **(الشكل رقم ٣)**. وهي ترجع إلى القرن التاسع عشر الميلادي، حيث يعلو الصحن الأوسط قبَّة تُحيط بها أربعة قبوات. كما توجد قبَّة أخرى فوق الهيكل الأوسط للكنيسة بازيليكية الطراز.

وتحتوي القبَّة بصليَّة الطراز على رقبة بها فتحات للتهوية وللإضاءة كما هو شائع في كثير من الكنائس القبطيَّة الأخرى. ويتكوَّن حامل الأيقونات من حشوات خشبية تكسوها الزخارف الهندسيَّة. وبالكنيسة أيضًا بعض الأيقونات والمخطوطات الهامة. ويعلو الكنيسة برجان للجرس.

(الشكل رقم ٣) كنيسة القدِّيس مار جرجس ببلتان © Morcous Essam نقلًا عن:
https://www.google.com/local/imagery/report/?cb_client=local_photo_viewer&image_key=!1e10!2sCIHM0ogKEICAgIDq_qucyAE

٧ – كنيسة القدِّيس مار جرجس بطليا:

على بُعْد حوالي خمسة كيلومترات في الناحية الجنوبية من أشمون، شُيِّدت هذه الكنيسة مستطيلة الشكل في قرية طليا[٧]. وهي مُحاطة بممرٍّ خارجي. وصحن الكنيسة مُغطًّى بقبَّة محمولة على عقودٍ ترتكز على أربعة أعمدة. ورقبة القبَّة تتخلَّلها فتحات.

والهيكل الأوسط تعلوه أيضًا قبَّة من نفس الطراز المعماري. وحامل الأيقونات من الخشب المُطَعَّم بالعاج وتُزيِّنه الزخارف الهندسيَّة. كما يعلوه صفٌّ من الأيقونات الجديدة.

---

(٦) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٦٥.
(٧) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٦٨.

٨ – كنيسة القدِّيس مار جرجس بطوخ دلكة "طوخ النَّصارى":

بالقرب من كنيسة السيِّدة العذراء، بُنِيَت كنيسة القدِّيس مار جرجس بطوخ النَّصارى[٨]. وهي مربعة الشكل تقريبًا، حيث تمَّ توسيعها على فتراتٍ زمنية مُتباعدة. ويعلو مبنى الكنيسة برج الجرس، وتعلوها القباب؛ بالإضافة إلى القبوات التي تُغطِّي هياكلها الشرقية الثلاثة، وكذلك صحنها الأوسط. وبداخل الكنيسة أحجبة خشبية مُطعَّمة وأيقونات لبعض القدِّيسين والشهداء الأقباط.

٩ – كنيسة القدِّيس مار جرجس بميت خاقان:

على بعد حوالي كيلومترين تقريبًا شرق شبين الكوم بمحافظة المنوفية، توجد هذه الكنيسة التي أشار إليها أبو المكارم في القرن الثالث عشر الميلادي في قرية ميت خاقان[٩] **(الشكل رقم ٤).**

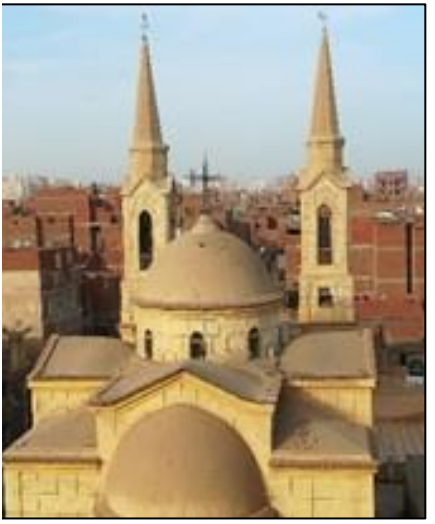

(الشكل رقم ٤) كنيسة القدِّيس مار جرجس بميت خاقان. نقلًا عن: https://www.facebook.com/photo?fbid

وقد أكَّد هذا المؤرِّخ على وجود كنيسة أخرى بها للقدِّيس مار جرجس، وربما كان يقصد هيكل لهذا القدِّيس. ويؤدِّي مدخل الكنيسة بازيليكية التخطيط إلى ثلاثة أروقة، أكثرها اتِّساعًا الصحن الأوسط. وأمام الهيكل الرئيسي يعلو صحن الكنيسة قبَّة مرتفعة ترتكز على رقبة بها فتحات. أمَّا القباب الأخرى، فتظهر بداخلها القبوات المُتقاطعة. ومن الخارج تكسوها الجمالونات المُدبَّبة. وأحجبة الكنيسة الحديثة يعلوها صفَّان من الأيقونات.

(يتبع)

(٨) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٦٩–٧٠.
(٩) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٧٠.

مدخل إلى النقد النَّصِّي للعهد الجديد[١]

أمير يعقوب

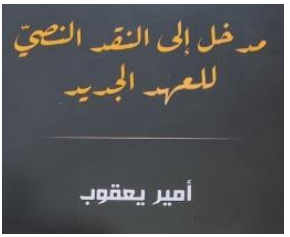

النَّقد النَّصِّي للعهد الجديد:

هو عِلْمٌ يهدف إلى استعادة النَّصِّ الأصلي للعهد الجديد، وذلك من خلال دراسة المخطوطات المُتعدِّدة والنُّسخ القديمة للوصول إلى أدقِّ صيغة ممكنة للنَّصِّ الأصلي.

أهمية النَّقد النَّصِّي للعهد الجديد:

نظرًا لعدم وجود نُسخة واحدة أصليَّة مِن العهد الجديد، لذلك يقوم النقد النَّصِّي بإعادة استرداد النَّصِّ الأصلي قدر الإمكان، وذلك مِن خلال الأدلَّة المُتاحة. وفي سبيل ذلك، يتمُّ مقارنة النُّسخ المختلفة القديمة، وتحليل الأخطاء النَّسخيَّة التي يمكن أنْ تكون قد حدثت أثناء عملية النَّسخ. ولذلك يبحث النقد في المخطوطات اليونانيَّة والسريانيَّة والقبطيَّة وغيرها للتأكُّد من النَّصِّ الأصلي.

وهنا قد يبرز سؤال: لماذا فُقِدَت النُّسخ الأصليَّة؟! مِن الصعب الإجابة على هذا التساؤل؛ ولكن ربما أنَّ الله قد دبَّر ذلك، لئلَّا إذا نجت هذه المخطوطات الأصليَّة لكانت قد عُبِدت! ولكن، على الأرجح أنَّها قد تهالكت بسبب كثرة تداولها.

لقد انتقل إلينا العهد الجديد عَبْر مخطوطاته، والتي هي بدورها عبارة عن نسخ من نسخ من نسخ، أُنتجت بالنَّسخ اليدوي، ووصلت إلينا عَبْر الأجيال. وكما في كلِّ الأعمال الأدبيَّة القديمة التي فُقِدت أصولها، هكذا العهد الجديد أيضًا يُعاد بناؤه مِن هذه النُّسخ المتأخِّرة نسبيًّا، ولكنها تعود للقرون الأُولى.

ولفهم هذه العملية المُعقَّدة، يتطلَّب الأمر معرفة أدوات الكتابة القديمة، وعادات النُّسَّاخ، والأخطاء النَّسخيَّة، والترجيحات الإملائيَّة، وغيرها الكثير... وهنا علينا أن نستدرك سريعًا ونقول: إنَّ هذه التبايُنات في النَّصِّ بين المخطوطات المختلفة، هي ذات أهمية لا تُذكر، ولا تؤثِّر في مجملها على الإطلاق في صحة النَّصِّ أو العقيدة.

---

(١) الكتاب صادرٌ عن "دار رسالتنا للنشر والتوزيع". يقع الكتاب في ٣٤٠ صفحة، وصَدَر سنة ٢٠١٩.
الكاتب يُهدي كتابه إلى "العلَّامة الأسعد أبي الفرج ابن العسال"، والذي هو أشهر عالم قبطي في مقارنة المخطوطات؛ ومن بعده الأرشيدياكون حبيب جرجس؛ ولاحقًا نيافة الأنبا إبيفانيوس أسقف ورئيس دير الأنبا مقار (المُتنيِّح).

عِلم النَّقد النَّصِّي Textual Criticism[٢]:

هو فرعٌ من عِلم "البيبلوجرافيا Bibliography "، أي عِلم "نسخ الكُتُب" و"كتابة الكُتُب"، وهو عِلمٌ عُرِف مُنذ القرن الخامس قبل الميلاد. وهو عِلمٌ مُختصٌّ بدراسة ووصف وتصنيف المخطوطات من جهة المؤلِّف، وعنوان المخطوط، وتاريخ نساخته، والمادة التي استخدمها النَّاسخ: سواء ورق بردي أو رقوق أو ورق عادي، وفحص نوع الحبر الذي استخدمه النَّاسخ ... إلخ.

وعِلم "نقد النَّص"، عِلمٌ تجريدي يحكم على مدى موثوقيَّة أيِّ عمل كلاسيكي وصل إلينا عَبْر النِّساخة المُتكرِّرة، ولا يوجد أيُّ أثر للنُّسخة الأُم، أي المخطوط الأول الذي كُتب بخطِّ المؤلِّف. فهو عِلمٌ يرتبط بالمخطوطات القديمة، سواء كانت أعمال أدبية أو تاريخية أو دينية. فعِلم "النَّقد النَّصِّي" يهتمُّ بالنَّصِّ وكافة المعلومات المُتعلِّقة به، وطريقة انتقاله منذ كتابته حتى وصل إلينا مِن مخطوطةٍ إلى أخرى. وهو يدرس اللُّغة التي كُتب بها النَّص، وأيضًا اللُّغات التي تُرجم إليها، إذا كان له ترجمات مثل الكتاب المقدَّس. ويُحدِّد النَّقد النَّصِّي عُمر كلِّ مخطوطة ويوصفها، ويُقارن بينها، ويُحدِّد القراءات المختلفة بين المخطوطات، ويتعرَّف على أخطاء النِّساخة ويُصحِّحها، ويُحاول أنْ يصل بالنَّصِّ إلى أقرب ما يمكن مِن الأصل.

وعِلم النَّقد النَّصِّي عندما يُحدِّد موثوقيَّة أيِّ عمل كلاسيكي لا يمنحه أكثر من ٩٩ ٪ من الموثوقيَّة، وهذه أعلى درجة، ولا يأخذ أيُّ عمل موثوقيَّة ١٠٠٪ إلاَّ إذا كان هذا المخطوط هو الأصلي الذي كتبه المؤلِّف بيده. وقد حقَّق العهد الجديد أعلى نسبة موثوقيَّة عن أيِّ عملٍ أدبيٍّ آخر. فموثوقيَّة العهد الجديد "٤٠٠٠ مرة" من موثوقيَّة أيِّ عملٍ كلاسيكي آخر نظرًا للعدد الهائل من مخطوطاته، والذي يتعدَّى الخمسة والعشرين ألفًا، وقُرب أقدمها من الأصل بفاصلٍ زمني لا يُذكر.

ومِن المفروغ منه، أنَّنا لا يمكن أنْ نُحمِّل النَّصَّ الأصلي أخطاء النِّساخة أو الترجمة، ولهذا وُجِد هذا العِلْم الخاص بالنَّقد النَّصِّي لمُعالجة هذه المشاكل، والكشف عن أصل النَّصِّ ومقارنته وتخليصه من أيِّ شوائب لصقت به. حتى أنَّ أحد علماء هذا المجال قال في تعريفه للنَّقد النَّصِّي: "هو الفن والعِلْم المُتعلِّق بتحديد أصحِّ القراءات للنَّصِّ".

ويمتدُّ عمل النَّقد النَّصِّي، ليس لمخطوطات الأسفار المقدَّسة فقط؛ بل إنَّه يستعين بمخطوطات كُتُب الكنيسة التي حوت أجزاءً من الأسفار المقدَّسة، وأيضًا باقتباسات الآباء من هذه الأسفار. فإنَّ كتابات آباء الكنيسة الأوَّلين تُلقي مزيدًا من الضوء، لأنَّ بها اقتباسات من العهد الجديد قد تختلف عن إحدى أو بعض المخطوطات الحاليَّة، لأنها مأخوذة من مخطوطات أقدم لم تصل إلينا. وعلى هذا، فإنَّ شهادة هؤلاء الآباء للنَّصِّ، تكون ذات قيمةٍ كبيرة.

---

(٢) هذه الفقرة من كتاب: "مدارس النقد والتشكيك والرَّد عليها" – مقدِّمة (٢)، المؤلِّف: حلمي القمص يعقوب، طبعة أولى: ٢٠١٧.

Father Matta El-Meskeen

LIVING WITH CHRIST

Articles of Comfort and Blessings Offered to the Reader

We present here new chapters of the exposition of Father Matta on the last verses of the prayer of Jesus Christ to the Father, in the Gospel of St John (Chapter 17). Enjoy! Note: *All quotations are taken from the **New King James Version,** if not otherwise mentioned.*

Volume Four

Chapter 65

"Father, I desire that they also whom You gave Memay be with Me where I am, that they may behold My glorywhich You have given Me; for You loved Me before the foundation of the world" (John 17:24).

UNTIL the last moment in the life of Christ on earth, He would reveal the extent of His attachment to His saintly disciples and apostles. He was like a loving Brother remembering His brothers, or a good Friend not forgetting His loved ones. We are before an unmatched divine passion that is rare to find among brothers and loved ones. For those who lived and served with Christ now have a Brother, unique among His brethren in heaven, who left them and left the world yet still remembers and prays for them. In spite of formerly saying, "and the glory which You gave Me I have given them,"[1] He emphasized His desire that they be with Him in His kingdom to behold His glory. For His glory on earth is unlike His glory with the Father in heaven and the glory He gave them is unlike that which is His in heaven. We are not able to know the difference between one glory and another, nevertheless, these are Christ's words. The glory of Christ from the beginning was concomitant to the Father's love to Him before the foundation of the world. Thus, the glory was not linked to His mission, for it was "before the foundation of the world." Here, we can understand that Christ is speaking about what pertains to His divinity before He was incarnate, when the Son was in the bosom of the Father before the foundation of the world. For the glory of Christ is as perpetual as the eternity of the Father and the Son, and it was revealed in the world for its destined transmission to man's inheritance in God's economy. Here, we realize that man was placed with everything that belongs to him in the economy of God as the dearest of His creatures.

The very mystery of this inheritance was revealed to the Apostle Paul in the

[1] John 17:22.

Epistle of Ephesians. He teaches, "Blessed be the God and Father of our Lord Jesus Christ, who has blessed us with every spiritual blessing in the heavenly places in Christ, just as He chose us in Him before the foundation of the world, that we should be holy and without blame before Him in love, having predestined us to adoption as sons by Jesus Christ to Himself, according to the good pleasure of His will, to the praise of the glory of His grace, that he freely bestowed on us in the Beloved!!"[2] This is one of the most brilliant pages of the Bible, which puts man in the holiest and most precious positions relative to God. It uncovers a true spiritual revelation about the extent of God's evaluation of man, when it assures that God blessed us with every spiritual blessing in the heavenly places, and chose us rather than the angels and all of the heavenly host, to be holy, without blame, before Him in love, as sons, according to the good pleasure of His will. He placed us before Him as beloved ones, pouring on us from His love as sons and children. He sets in our mouth words of glorification to Him with all spiritual glory and praise to Him with every sweet song that befits Him.

This New Testament pericope is one of the dearest and most important pages in the life of man. It serves as the greatest witnesses and yoke that Christ places on our chests that it may be our pride and honor before the angels, rulers, and all of the heavenly creation. It becomes a sharp sword that we draw before the enemy, as we are a creation that fell from heaven to the dust of the earth, but Christ drew us from the dust of the earth to heaven at the time of his Ascension to place us in the fullness of the Father's blessing and the guidance of the Holy Spirit, in the company of the triumphant and victorious Christ.

Man is no longer the son of Adam, from dust and to dust returning. Rather he became from the sons of the kingdom, a beloved son of God and a member of the household of God,[3] prepared to enter the awesome divine unity that is between the Father and the Son, and to be counted as one of Them,[4] delighting in God's grace all the days of his everlasting life.

December 30, 2005

---

[2] Ephesians 1:3-6 NRSV.
[3] Ephesians 2:19.
[4] Genesis 3:22.

Chapter 66
"O righteous Father! The world has not known You, but I have known You; and these have known that You sent Me" (John 17:25).

FOR the first time we hear about the Father being described as righteous, as we thought that only Christ was righteous,[1] He who came from the Father to justify

---

[1] 1 John 2:1.

many by His righteousness.[2] Since the Father is also righteous, then we are sons of the righteousness of both the Father and the Son. What a privilege which drives us to claim the inheritance of the righteous ones with God in heaven, which is the most cherished level on the ladder of glory, that ladder raised by Christ through His body to connect earth with heaven. For righteousness by itself is a power stored for the chosen ones, driving them to continually ascend in the way of the kingdom. As we have seen, righteousness is a characteristic of the Father and of the Son as well, and it was granted to us out of the abundance of Christ's favor to us, that He made us righteous, rather "kings and priests to His God and Father."[3]

Righteousness is a property of the heart and the conscience, and it immediately gathers us in the company of the Father and the Son as an attribute that belongs to the Father and the Son.

The evidence for Christ's words to the Father, "The world has not known You," is that they rejected the Son; indeed they evicted him. Moreover, they delivered Him to death through crucifixion, despite His declaring to them hundreds of times that He was sent forth from the Father for them, and carried to them the Father's commandments, words, and love. Nevertheless, they shut their ears to hearing Christ's assertion that He came forth from the Father. Therefore, when they rejected Christ, they essentially rejected the One who sent Him. When they denied Him being the Son of the Father, they denied both Him and the Father. When they killed Him, they erected a lasting barrier between them and the Father. Nevertheless, Christ was not deprived of true believers in Him and in the Father, who knew well that Christ was sent forth from the Father.[4]

Christ acknowledges to the Father: "I have manifested Your name to the men," "and will declare it, that the love with which You loved Me may be in them, and I in them."[5] Christ knows and glories in word that He knows the Father, as man knows his own self, in other words, a true and existential knowledge, for the Son is present in the Father. He knows Him because He is from Him, through Him and in Him. Thus, if in this is Christ's glory, then our glory exists in the glory of Christ, for we knew the Father in the Son. Our knowledge is worship, love, and faithfulness with the readiness to give our life up to death. As long as we are in the Father and the Son, the world would become an estrangement for us, and heaven our home. Christ's knowledge of the Father created a unique story of salvation, where Christ offered Himself up for death on the cross based on dying for man while His life was still present with and in the Father. Thus, He rose from the dead in the glory of the

[2] Isaiah 53:11.
[3] Revelation 1:6.
[4] John 16:27.
[5] John 17:6,26.

Father and by His will, for He said, "I have power to lay it down, and I have power to take it [raise it] again."[6] For death and resurrection are made by Christ and the Father for the fulfillment of man's salvation and redemption. Christ's knowledge of His role in salvation and redemption drove Him to the cross as One going on a mission, fulfilling it in tears, but reaping its fruit of eternal life for man.

Here, Christ glories in His knowledge of the Father, a knowledge that is like a man looking at his face in a mirror. He likewise explains it as the knowledge of the Father's name, "I have known Your name." The knowledge of the name in theology is the knowledge of the being, for the name in theology carries the essence of the divinity. The essence of the divinity is one in the Father and the Son, each knowing the other as one knowing his persona. For Christ to say, "I have finished the work which You have given Me to do,"[7] proves that He knows the Father and has fulfilled His existence.

December 30, 2005

---

[6] John 10:18.
[7] John 17:4.

Chapter 67

"And I have declared to them Your name, and will declare it, that the love with which You loved Me may be in them, and I in them" (John 17:26).

THIS IS THE END of Christ's final prayer, by which He ended His conversation with the Father, and in it He has revealed the sum of His mission. He has acquainted the disciples and the world with the name of the Father. By this He finished the work that the Father asked Him to do, as He affirmed: "I have finished the work which You have given Me to do."[1] This was a revelation to the disciples and to the world that the Father is the owner of the message that was fulfilled by Christ. His saying, "and will declare [Your Name], that the love with which You loved Me may be in them," expresses the work of the Son through the Holy Spirit while He is in heaven. For Christ, until now, continues to open the minds of those who believe in Him through the Holy Spirit, where they receive the Son's inspirations with which He fulfills the gospel of His life. For Christ lives in heaven, and He oversees His work in all who live for Him and seek Him.

The most wonderful story I have read belongs to someone who is still alive and preaching. It is the story of "Golshan," a Pakistani. She was paralyzed since childhood and used to read the Quran. She learned from it that Isa, the son of Maryam, used to heal the sick. So, she started praying for three years in the same

---

[1] John 17:4.

manner and with the misbaha (a prayer rope) in her hand praying, "Oh Isa, the son of Maryam, heal me." Her father had taken her for treatment in France and England with no avail, for polio is incurable. Finally, her father took her to Mecca and she washed with the Zamzam water, though, she returned to her country with her paralysis. She continued to cry out to Isa, the son of Maryam. Then, Christ Himself, and with Him the twelve disciples, appeared to her and they surrounded her in the middle of one night. Christ called her by her name and said, "I am Isa the Son of Maryam; but my name is Jesus. Rise and get out of your bed." She hesitated and said, "I am paralyzed." Christ said to her, "Rise." Thus, she stretched out her legs and came down from her bed, and stood before Christ with her legs, being completely healed from polio. Her legs had atrophied completely and had been dangling from her body. However, she started feeling her legs and found out that they were fully healed and were filled with flesh. She knelt before Christ, and He taught her the Lord's prayer, word by word, and she memorized it instantly. Then, He instructed her that "your people are My people." So she understood the meaning, and started witnessing for the name of Christ and recounting to anyone entering to her what happened to her by the hand of Jesus Christ. Now, her older brother was extremely radical and wanted to kill her, and so he pointed the gun toward her face, yet she was not shaken and she said to him, "It is one death, kill me if you want, but I will still keep on witnessing to Christ." The gun then fell from his hand and he left her. So she rose and ministered for the name of Christ. She healed her sister through prayer, and finally she traveled to Holland.

In this manner does Christ declare the name of the Father, and still declares it to this day. He sowed love in the hearts of thousands of those who loved His covenant and His commandments, He sowed the love of the Father through His miraculous works which He still does to this day. His word is true that "lo, I am with you always, even to the end of the age."[2] He is with us, not merely as a promise, but He also fulfills His promise with works, and those who witness for Him increase in number because of His works and because of His inspirations that He sows in the hearts of those who love Him. Thus, they filled the world with preaching and witnessing. We heard that He is working in China in millions who meet on one of the mountains, praying and praising. So, even though the world has drifted and the devil has swept it away, the name of Christ still glistens in many of the world's centers, where they are fulfilling the witness, praising, and rejoicing in the Lord. Still "signs…follow those who believe,"[3] and the churches of numerous countries are filling with those who pray and utter the name of the Lord with rejoicing.

December 31, 2005

---

[2] Matthew 28:20.
[3] Mark 16:17.

The Goal of the Coming and Sojourn of the Lord

Such is the redemption of the Lord—his coming and sojourn among mankind—that he might now restore the spiritual, rational, and precious essence of the soul to the nobility of its original purity, and moreover, make her a sharer in his own Spirit's essence, establishing her as his noble and royal bride. How then do we trade away this precious, spiritual essence of the soul—lovely and more worthy than every creature, visible and invisible—for leprous, wretched, and corruptible material affairs, […] when instead we ought to cast everything far away from us and shake off the passing affairs of the earth and the corruptible thoughts of matter and dust, in order to be bound to Christ alone by love, to be wounded by heavenly love toward him alone, and, by spiritual affection, to be in love with him alone?

Homily 25 of Collection III.

****

ἐκ τοῦ ἁγίου Μακαρίου

Αὕτη ἐστὶν ἡ λύτρωσις τοῦ κυρίου καὶ ἡ ἔλευσις καὶ ἡ ἐπιδημία ἐπὶ τὸ γένος τῶν ἀνθρώπων, ὅπως τὴν νοερὰν οὐσίαν καὶ λογικὴν καὶ τιμίαν τῆς ψυχῆς ἀποκαταστήσῃ νῦν ἐν τῇ εὐγενείᾳ τῆς ἰδίας ἐξ ἀρχῆς καθαρότητος, πρὸς τούτοις καὶ κοινωνὸν τῆς ἰδίας τοῦ πνεύματος οὐσίας ταύτην καταστήσῃ ὡς εὐγενίδα τινὰ καὶ βασιλικὴν νύμφην ἑαυτοῦ. Πῶς τοίνυν τὴν τιμίαν ταύτην καὶ νοερὰν οὐσίαν τῆς ψυχῆς, τὴν ἐράσμιον καὶ ὑπὲρ πᾶσαν κτίσιν ὁρατὴν καὶ ἀόρατον ἀξιολογωτέραν τυγχάνουσαν, ἀνταλλάσσομεν λεπροῖς καὶ ταλαιπώροις καὶ φθαρτοῖς ὑλικοῖς πράγμασι. […] δέον ἀφ᾽ἑαυτῶν πάντα ῥίψαντας καὶ ἐκτιναξαμένους τὰ τῆς γῆς παρερχόμενα πράγματα καὶ τὰ τῆς ὕλης καὶ χοὸς φθαρτὰ διανοήματα Χριστῷ μόνῳ δεθῆναι τῇ ἀγάπῃ καὶ οὐρανίῳ ἔρωτι πρὸς αὐτὸν μόνον τετρῶσθαι καὶ πνευματικῷ φίλτρῳ αὐτοῦ μόνου ἐρᾶν;

SC 275, p. 276-278.

St. Mark*Monthly Review*
Published by: The Monastery of St. Macarius the Great, Wadi El-Natrun.
ANNUAL SUBSCRIPTIONS (10 issues a year, July& August excluded, sent by Int. Courier):
U.S. $150.00
Subscriptions to be paid through our Website as mentioned below, or sent by a check to:
"St Macarius Printing House", P.O. Box 1574, Centreville, VA 20122, USA.
No materials may be reproduced in whole or in part without written permission from the publisher.
© 2025 by the Monastery of St. Macarius the Great.
Library of Congress Catalogue Card Number: 80–960629. ISSN 2805-2382
VISIT THE WEBSITE OF THE MONASTERY: WWW.STMACARIUSMONASTERY.ORG

ST. MARK November 2025

Monthly Review

Annunciation

"Do not be afraid, Mary, for you have found favor with God. And behold, you will conceive in your womb and bear a son, and you shall call his name Jesus" (Lk 1:30, 31 RSV)

Fresco dating back to the 14th century, Church of the Virgin Mary, Monastery of the Syrians, Wadi El-Natrun, Egypt